الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الانسانية

اغتيال لسان الدين بن الخطيب

في رمزية العلاقة بين السياسي العالم والسلطة

713هـ - 1313م / 776هـ 1375م

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في التاريخ تخصص تاريخ المغرب الوسيط

إعداد الطلبة:

- عبد الحميد طواهري
- عبد اللطيف قحمص

إشراف الأستاذ:

- حميد زيدور

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	المؤسسة الأصلية
د.أحمد بن خيرة	رئيس اللجنة	جامعة الشهيد حمّه لخضر- الوادي
حميد زيدور	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمّه لخضر- الوادي
أ.واعظ نويوة	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمّه لخضر- الوادي

السنة الجامعية : 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة الآية 105

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين

اللذين سهروا على تقويمي وتشجيعي على طلب العلم والبلوغ فيه أعلى المراتب، فرعاني أبي بعينه الساهرة ، وحفتني أمي بكل حنانها و رافقتني دوما بدعواتها.

كما أهدي إلى كافة عائلتي وإخوتي ومن دعمني في مسيرتي الدراسية، وإلى أخي وصديقي المرحوم عبد الصمد رحماني الذي كان شغله الشاغل أن أتم دراستي وأنال شهادتي رحمة الله عليه.

عبد الحميد طواهري

الإهداء

أهدي هذا العمل الى أمي وأبي تاج رأسي اللذان وقف معي منذ نعومة أظافري كي أتعلم وأرتقي بالعلم، ولم يبخل عليا بشيء وأحاطوني برعاية وشجعوني كي أبلغ ما بلغة.

كما اهدي كل عائلتي من إخوة وأخوات، وإلى كل زملائي في دفعة وزملائي في الحي.

وأهدي لكل أساتذة الذين درست على يدهم في مسيرتي الدراسية

عبد اللطيف قحمص

شكر وعرفان

الحمد لله أهل الحمد والثناء والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

نشكر الله سبحانه وتعالى على إحسانه وتوفيقه لنا وعلى ما أسداه الينا من نعم لاتعد ولا تحصى.

والشكر الموصول إلى الأستاذ الدكتور " **حميد زيدور** " على ما أسداه لنا من نصح وتوجيه وإرشاد.

كما يطيب لنا أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساهم في مساعدتنا، وتوجيهنا وإرشادنا

كما لا ننسى موظفي كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

وأخيرا يسعدنا أن نتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان لأعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة، والحكم عليها وإثرائها بآرائهم السديدة.

وفّق الله الجميع لما فيه من خير الدنيا والآخرة إنه

سميع مجيد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المختصرات

الرمز	دلالته
ص	صفحة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
د ط	دون طبعة
د د	دون دار النشر
د س	دون سنة النشر
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة:

تمتلك الأندلس تاريخ زاخر يعج بالأحداث، على الصعيد السياسي والاجتماعي والعلمي، منذ فتحها إلى سقوط آخر معاقل المسلمين بها، وهي غرناطة سنة 1492 هـ وقد مرّت الأندلس بعدّة فترات كان لكل فترة تسميتها الخاصة بها كفترة الولاّة ثم الطوائف ويليها المرابطون ثم الموحدون وفي الأخير بنو الأحمر، والذين كان لهم نصيب كبير في الاحتفاظ بغرناطة، حيث حكموها حوالي قرنيين ونصف قرن.

رغم الصعوبات التي كانت تحيط بهم من كل النواحي إلا أنهم ثبتوا وحاولوا ترسيخ جذورهم في أرض الأندلس، واتخذوا غرناطة عاصمتهم السياسية والعلمية التي أضاء مشعل علمها بلاد المغرب وصولا إلى المشرق بل بلغ سناء نورها بلاد الغال وما بعدها وظهرت فيها شخصيات ورجال عظماء من القادة والعلماء وأهل التدبير والسياسة، كتبوا تاريخهم بماء الذهب وتركوا بصمتهم خالدة في سجل التاريخ الأندلسي.

ومن أمثال إبن مرزوق وابن الجياب وغيرهم، ممن لا يتسع المجال لذكرهم أو الإحاطة بهم، كان إبن الخطيب ممّن بزغ نجمه في سماء غرناطة وعمّ ذكره بين المشرق والمغرب، بإسم ذو الوزارتين، وبالأديب والمؤرخ والشاعر والطبيب، الذي كان رجل عصره وتحفة زمانه، وكيف لا، وهو العالم الذي خاض في شتى المجالات وأبدع فيها.

توضّح هذه الدراسة، حياة إبن الخطيب، بداية من ولادته ونشأته العلمية وإنتاجه الفكري الضخم، وتجربته السياسية والأحداث الذي مر بها في حياته وكيف تعامل معها وأخيرا كيفية اغتياله، وقد عرجنا في موضوعنا هذا، على المحطّات التي مر بها ابن الخطيب في حياته صغيرها وكبيرها، مع اعتبار أن الفترة التي عاش فيها في غرناطة تعتبر، من أهم المراحل التي مرّت بها الأندلس، التي عرفت اضطرابات سياسية كبيرة وإنتاج فكري وفنّي لا يضاهى، ممّا جعل للموضوع أهمية تاريخية خاصّة.

أسباب اختيار الموضوع متعدّدة ومختلفة، وأوّل سبب، هو طرحه من طرف الأستاذ المشرف، فصادفت فكرته رغبتنا وأعجبنا بها، وشغفنا بحب معرفة شخصية إبن الخطيب عن كثب، لأنه شخصية بارزة في التاريخ الأندلسي وبالأخص فترة بني الأحمر، وقد بلغ سيته المشرق والمغرب.

من هنا نطرح الإشكالية الرئيسة في البحث: لماذا تمّ، أو ما هي أسباب اغتيال لسان الدين بن الخطيب؟ وقد اندرجت تحت هذه الإشكالية الرئيسة، عدد من الإشكاليات المتفرّعة، إذ ما هي الأسباب ودعايات اغتياله؟ وقبل هذا، من هو ابن الخطيب الذي جمع بين وزارة السيف والقلم؟، وكيف كانت حياته العلمية والسياسية؟، وهل السياسة هي الدافع الحقيقي لاغتياله، أم دوافع شخصية وذاتية؟، ومنه هل كان العالم والفقيه والأديب في الاندلس، يحي حياة دون حرية وتحت ضيق المراقبة والتآمر.

وللإجابة على الإشكالية الرئيسة والإشكاليات الفرعية، وبفضل المادة العلمية التي تم جمعها، قمنا برسم خطة لموضوعنا مقسّمة إلى مقدمة وتمهيد وأربع فصول وكل فصل مقسم إلى مبحثين، وتحت كل مبحث مطلبين إلى ثلاثة مطالب.

اشتملت المقدمة على المناهج المتّبعة لمعالجة الموضوع، وخطّة البحث والإشكالية وأسباب اختيار الموضوع، وأهميته وأهدافه، وعرض ونقد المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة، والصعوبات التي واجهتنا.

بالنسبة للتمهيد تناولنا فيه علاقة سلاطين بني الأحمر بالعلم والعلماء، وجاء الفصل الأول بعنوان: حياة ابن الخطيب، مقسما إلى مبحثين، المبحث الأول قمنا فيه بالتعريف بشخصية ابن الخطيب نسبه ومولده وألقابه، المبحث الثاني تكلمنا عن تأثير وتأثّر ابن الخطيب بالبيئة الغرناطية وأوردنا أراءالمؤرخين في أعماله وآثاره العلمية والأدبية.

وكان الفصل الثاني بعنوان: إبن الخطيب العالم، قسّمناه إلى مبحثين، الأول ذكرنا فيه شيوخه وتلاميذه، والمبحث الثاني تحدثنا فيه على إنجازات ابن الخطيب من كتب و أشعار ورسائل.

أما الفصل الثالث، فكان بعنوان: ابن الخطيب السياسي، يندرج تحته مبحثين الأّول تكلمنا فيه عن اعتلاء إبن الخطيب السياسة، والثاني تكلّمنا عن وجوده ومكانته، بين المغرب والأندلس، وأضفنا فيه علاقة ابن الخطيب بإبن خلدون.

أمّا الفصل الرابع، فعنون بـ: اغتيال ابن الخطيب، وهو مقسّم إلى مبحثين اثنين الأول تحدثنا فيه عن أعداء ابن الخطيب، وفي المبحث الثاني تكلمنا على السِعَايَات والمكائد التي حاكوها ضدّه واغتياله.

وقد اتبعنا في هذا البحث، المنهج التاريخي، الذي اعتمدنا فيه على تقصي أخبار ابن الخطيب، والمنهج الوصفي التحليلي لدراسة وتحليل الأحداث التاريخية ووصف شخصية ابن الخطيب، واعتمدنا كذلك على منهج المقارنة وذلك من خلال مقارنة النصوص التاريخية مع بعضها للوصول إلى أصدق الروايات، كما اعتمدنا كذلك على المنهج الجغرافي الذي تمثّل في ذكر بعض المدن وقد تم تعريفها في الهامش.

جلّ الدراسات التي نجدها عن ابن الخطيب، إمّا أدبية من خلال أشعاره ومؤلفاته الأدبية أو تاريخية من خلال كتبه التاريخية، وكان خوض الباحثين والدارسين في شخصية ابن الخطيب قليل، ومن خاض فيها لم يفصل فيها كما يجب، ولعلّ السبب عائد إلى أنّ ابن الخطيب، ترجم لنفسه وتحدّث عن مراحل حياته، ومن بين الدراسات السابقة التي أنجزت، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، من طرف كمال شهاب محمد الجبوري بعنوان" تجلّيات المضامين التراثية في شعر لسان الدين بن الخطيب" رسالة ماجستير ذكر فيها حياة ابن الخطيب، لكن بشكل مجمل، لم يفصّل فيها، بل مرّ على الأحداث مرور الكرام، وكان كل تركيزه واهتمامه على المضامين التراثية في شعره، الذي مثّل شعر الأندلسيين أيما تمثيل.

اعتمدنا على مجموعة من المصادر التي تناولت موضوع بحثنا بالإضافة إلى العديد من المراجع، رتّبناها حسب أهميتها على النحو التالي:

مصادر تاريخية:

كتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة،** لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب، تح، عبد الله عنان، ينقسم إلى 4 مجلدات ترجم فيه لنفسه وإلى العديد من الشخصيات التي حلّت بغرناطة، وذكرت فيها الأماكن والمعاهد والسكان، اعتمدنا عليه كثيرا، مع كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العبر والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، لمؤلفه عبد الرحمان بن خلدون، (732هـ / 808هـ . 1332م / 1406م) الذي كان فيه الجزء السابع أكبر جزء تناولنا عبره موضوع الدراسة، لأنه تكلم فيه كثيرا عن ابن الخطيب ومقتله.

يعدّ كتاب **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،** لمؤلفه أحمد المقري، أهم مصدر تاريخي على الاطلاق، تناول تاريخ لسان

الدين بن الخطيب بالأندلس والمغرب، وهو مصدر لا يستغنى عنه أبدا، كيف وقد كان الهدف من تألفيه هو الكتابة عن لسان الدين بن الخطيب نفسه، بطلب من أمراء المشرق ويمكن اعتبار مؤلفات المقري، كلها مهمة في الكتابة على الأندلس، والكتابة حول تراجم وسير أعلامها وأعلام المغرب، وكتاب **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، يعتبر أحد هذه المصادر، إذ تناول فيه العديد من جوانب حياة ابن الخطيب.

كتب التراجم:

كتاب **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، لمؤلفه أحمد بابا التنبكتي (963. 1036هـ) من أهم كتب التراجم في هذه الدراسة، وله مؤلف آخر، وهو" كفاية المحتاج لمعرفة من ليس من ليس في الديباج"، ومن كتب التراجم التي استفادت منها الدراسة، **روضة النسرين في دولة بني** مرين، لأبي إسماعيل بن الأحمر النصري (807هـ 1404م) الذي استفدنا منه في تناول تاريخ بني مرين، عند ترجمته لملوكهم وذكر وزراءهم وقضاتهم، والأمر نفسه، مع كتاب **جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس**، لمؤلفه محمد ابن القاضي المكناسي (960 . 1025هـ)، الذي ترجم أهل العلم والعلماء بمدينة فاس، مع تناولهلتاريخها المجيد.

المصادر الجغرافية:

من الكتب الجغرافية، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت 866هـ / 1463م)، هو أهم الكتب الجغرافية، التي اعتمدت عليها الدراسة، لذكر ووجود العديد من تعريفات المدن المغربية والأندلسية، التي تذكر معها أعلامها ورجالاتها، كتاب **خطافة الطيف في رحلة الشتاء والصيف**، لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب، يعد من أهم كتب ابن الخطيب الجغرافيا، الذي دون فيه مشاهداته في رحلته إلى غرناطة، اعتمدنا عليه في تعريف على بعض المدن الأندلسية، كتاب **معيار الاختيار في المعاهد والديار**، لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب، وصف فيه مدن مغربية وأندلسية كما شاهدها وصفا دقيقا، اعتمدنا عليه في نقل الكثير من المعلومات التاريخية، وفي تعريف بعض المدن المغربية التي عاشت أحداث سياسية لها علاقة بشخصية لسان الدين بن الخطيب.

المراجع:

كان مرجع **لسان الدين بن الخطيب (713 . 776 هـ / 1313 . 1374م) نثره وشعره** وثقافته **في إطار عصره**، لمؤلفه نبيل خالد الخطيب، من المراجع التي تناولت ابن الخطيب، وكانت الاستفادة، ناهيك عن التعريف بولادته ونشأته وشيوخه وتلاميذه، في معرفة شخصيته ونفسيته عبر الأدب والشعر، ومن المراجع، كتاب **أندلسيات**، لمحمد عبد الله عنان، الذي ذكر فيه أهم الشخصيات الأندلسية، وتحليل علاقة ابن الخطيب بابن خلدون، وأوّل لقاء بينهم وأوجه التشابه فيما بينهم.

أمّا أهم الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا، هي وباء الكرونا، الذي اجتاح العالم وأغلقت بسببه الجامعات والمكاتب، وأقيم علينا حجر منزلي ومنعنا من التنقل والالتقاء مع بعضنا أو مع الأستاذ المشرف، وكان تواصلنا عن بعد، منحصر في مواقع التواصل الاجتماعي أو عبر الهاتف، هذا ما أبطأنا في العمل وكان له تأثير كبير.

مدخل تمهيدي

مدخل:

لقد عاشت الأندلس العديد من الانتصارات السياسية والعسكرية على مر التاريخ، ولم تقتصر الانتصارات إلا على هذا المجال فحسب بل عرفت كذالك، ازدهار في الحياة الفكرية والحضارية بصفة عامة،وعاشت كذالك مرحلة ضعف سياسي وعسكري وسجلت تراجعت في الجانب الفكري والحضاري،لأن الجانب العلمي يتأثر جدا بالجانب السياسي،كل منهما يكمل الأخر،كلما كان الاستقرار والأمان السياسي كلما ازدهر الجانب العلمي والحضاري والفني.

إلا أن عصر بني الأحمر في الأندلس تميز عن غيره من العصور السابقة، فمن جهة عرف بني الأحمر بضعف في المجال السياسي والعسكري،وفي الجهة المقابلة عرفت ازدهار ثقافيا وحضاريا في شتى الميادين،وهذا الواقع الذي ميز دولة بني الأحمر عن غيرها من الدول،وهي الدولة التي عاصرها ابن الخطيب وهو صاحب موضوعنا ودراستنا عاش فيها وتقلد فيها مناصب سامية.ويعد عصر بني الأحمر آخر عصر إسلامي في الأندلس،ويمتد من (635. 897هـ/1238. 1492م)[1] إلى سقوط غرناطة (ومعناها الرمانة، وهي مدينة أندلسية في وسط الأندلس تتمتع بطبيعة خلابة ساحرة ومناخ جميل، يحدها من الشمال قرطبة ومن الجنوب نهر شينل، ومن الشرق جبل شلير، و ألمرية ومن الغرب لوشة، وفيها واد عميق، وتضللها الآكام العالية من الشرق إلى الجنوب، كانت عاصمة دولة بني الأحمر وهي أخر معاقل المسلمين في الأندلس) [2].

هناك العديد من عوامل وأسباب الذي جعلت الحياة الفكرية تزدهر في دولة بني الأحمر،بهذا الشكل المبهر والملفت للانتباه وفي خضم أحداث سياسية مضطربة ومعكرة،فلقد كانت دولة بني الأحمر بالقرب من ممالك نصرانية تكن لها العداء، وفي الطرف الأخر بلاد المغرب الذي كانت علاقتهما متأرجحة بين تحالف والعداء، ومن أهم هذه الأسباب، الإرث الحضاري والعلمي الذي ورثته دولة بني الأحمر عن أسلافها بداية من الأمويين ثم ملوك الطوائف فالمرابطين ومن بعدهم الموحدين، هذه الفترات عرفت ازدهار وعطاء في الجانب

[1] أحمد مختار العبادي: لسان الدين بن الخطيب وكتابته التاريخية، مجلة عالم الفكر، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، د د، 1985، ص232.

[2] ابن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح محمد كمال شبانة، د.ط،دار الكتاب العربي لطباعة والنشر، القاهرة، 1386هـ 1966 م، ص59.

الفكري والحضاري في الأندلس، فكان من البديهي أن تسير الدولة النصرية على خطى أسلافها.

ومن أشهر العوامل والأسباب وأكثرها تأثير هو اهتمام سلاطين بني الأحمر بالعلم والعلماء، وتشجيعهم للعلماء أدى إلى ازدهار هذه الحركة الفكرية.

وكان بلاط غرناطة "يعج بتقاليده الأدبية الزاهرة،وكان سلاطين بني الأحمر في طليعة العلماء والأدباء، فعرف عن محمد بن الأحمر[1] بحمايته للعلم والأدب، وكانت له أيام خاصة يستقبل بها الشعراء وبحضرته ينشدونه قصائدهم"[2].

أما محمد الثاني[3] اهتم بالعلماء والأطباء والحكماء والكتاب والشرفاء وقرض الشعر[4] ومحمد الثالث[5] فقد كان يقرض الشعر ويصغي إلى الشعراء ويجزيهم، وكان يقرّب منه العلماء وينشد الشعر وشعره مستحسن[6].أما السلطان أبو الحجاج[7] يوسف بن إسماعيل وولده السلطان محمد الغني بالله من محبي العلم والعلماء، حيث كان السلطان أبو الحجاج عالما

---

[1]محمد بن الأحمر(561. 671هـ): هو الغالب بالله أمير المسلمين، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر، مؤسس الدولة النصرية، ورسا قواعد وابتنى الحمراء، توفي في جمادى الثانية. لسان الدين ابن الخطيب:اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح محمد مسعود جبران، د.ط، دار المدار الإسلامي، د.س، ص73.

[2]محمد بشير حسن: تاريخ بلاد الأندلس في العصر الإسلامي، دط، الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2014، ص232.

[3]محمد الثاني الفقيه (633.701هـ):محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصاري خلف أبيه مؤسس الدولة، شهر بالفقيه لاهتمامه بطلب العلم وبقراءة القرآن سار على نهج أبيه في تأمين البلاد، دامت ولايته 3سنوات وشهر واحد و6أيام. ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة، تح عبد الله عنان، ط1، دار صادر بيروت، ج1، ص ص 556 566.

[4]د.نبيل خالد الخطيب: لسان الدين ابن الخطيب 713.776 هـ/1313 . 1374م نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، دار النهضة العربية، ص64.

[5]محمد الثالث المخلوع (655. 713هـ):هو محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن قيس الخزرجي، ثالث ملوك بني النصر يكنى أبا عبد الله كان يقرض الشعر ويجيز الشعراء، محب للعلماء، خلعه كبار رجال دولته بعد إصابته بمرض في عينه، وقتلوا وزيره بن الحكم واغتيل في بركة ماء.ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص ص 545 555.

[6]د.نبيل خالد الخطيب: لسان الدين بن الخطيب 713. 776هـ / 1313. 1374م نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، المرجع السابق، ص64.

[7]أبو الحجاج يوسف(733.755هـ/1333.1354):يوسف بن إسماعيل بن فرج من أشهر ملوك غرناطة،في عهده عرفت دولة بني النصر أزهى عهودها.ابن الخطيب:الإحاطة،المصدر السابق، ج4، ص ص319 333

وأديبا اهتم بالفنون، واشتهر السلطان أبو الوليد يوسف الثاني بأدبه وبراعة نثره وكتابته وهو من ألف كتاب "نثير الجمان فيمن وإياه الزمان"وترجم فيه للعديد من الأعلام.

والسلطان يوسف الأول كان عالما وشاعرا يحمي الأدب والفنون، وهو الذي أمر بإنشاء المدرسة اليوسفية الذي لعبت دور كبير في نشر العلم في غرناطة[1].

أما محمد الخامس[2] قد سار على نهج والده وأسلافه فشجع الأدب "وكانت له محاولات في النظم"، وقد كان وزراء وكتاب دولة النصرية بصفة عامة من أهل العلم والقلم وهم يشكلون طليعة أدباء وشعراء وعلماء زمانهم[3].

وقرب، سلاطين بني الأحمر العلماء منهم مجلسا وقلدوهم مناصب سامية في دولة فشغل العلماء والأدباء منصب الوزارة وديوان الإنشاء والكتابة، مثلما شغل منصب وزير السلطانيين محمد الثاني والثالث الأديب الشاعر الخطيب أبو عبد الله ابن الحكيم[4] ،كما شغل كذلك ابن الجياب منصب كاتب السلطان في دولة بني الأحمر وشغل كذالك هذا المنصب ابن الخطيب في عهد أبي الحجاج وابنه الغني بالله وترقى في المناصب وكذالك تلميذه ابن زمرك كاتب الحمراء وشاعرها، ووزير الغني بالله بعد ابن الخطيب[5].

إن ظهور جملة من الشعراء والكتاب والمؤرخين والمتصوفة وعلماء الفلك وغيرهم يعد نتيجة من نتائج الحركة الفكرية التي ساعد حكام غرناطة إلى الوصول إليها، وكان السلاطين يختارون وزرائهم حسب مقاييس معينة منها قوة ذكائهم وثقافتهم وفراستهم وموهبتهم الأدبية، أي أن الوزير يكون عالما وحذقا ومثقفا من كل النواحي.

---

[1] د.نبيل خالد الخطيب: لسان الدين بن الخطيب 713. 776هـ / 1313. 1374م نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، المرجع السابق، ص64.

[2] محمد المخلوع(محمد الخامس):هو الغني بالله بن محمد بن يوسف الأول، تولى الحكم بعد وفاة والده،وكانت فترة حكمه على مرحلتين الأولى755هـ إلى 760هـ، والثانية762هـ إلى أن توفي 793هـ وكانت أحداث ابن الخطيب في أيام حكمه،لقد تقلد ابن الخطيب في دولته مناصب رفيعة.بن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص13.

[3] د.نبيل خالد الخطيب: لسان الدين بن الخطيب 713. 776هـ / 1313. 1374م نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، المرجع السابق، ص65.

[4] الحكيم اللخمي: هو عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم، بن يحيى اللخمي، الرندي يعرف بابن الحكيم، نسبة إلى جده، ولد في 660هـ 1261م، انتقل إلى غرناطة في أيام السلطان محمد الفقيه، الذي عينه في ديوان الإنشاء وتقلد الوزارة على عهد السلطان أبي عبد الله المخلوع، وقتل في يوم عيد الفطر بغرناطة، سنة 708هـ 1308م. المقري: نفح الطيب المصدر السابق، ج2، ص618.

[5] د.نبيل خالد الخطيب: المرجع السابق، ص65.

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن علاقة سلاطين بني الأحمر بالعلماء والأدباء، كانت علاقة تشجيع وتواصل وتكامل، فكان الأدب والشعر والكتابة صفة من صفات الملوك والوزراء والحكام في الأندلس بصفة عامة وفي عصر بني الأحمر بصفة خاصة.

الفصل الأول

حياة بن الخطيب

المبحث الأول: التعريف بشخصية بن الخطيب

المطلب الأول: نسبه ومولده

المطلب الثاني:ألقابه

المبحث الثاني: البيئة الغرناطية ودورها على شخصية بن الخطيب

المطلب الأول: تأثير وتأثر بن الخطيب على غرناطة

المطلب الثاني: أقول المؤرخين في بن الخطيب

المبحث الأول: التعريف بشخصية بن الخطيب

المطلب الأول: نسبه ومولده

1- نسبه: ابن الخطيب عربي من قحطان اليمن ينتهي نسبه إلى سلمان، وسلمان بطن من بطون العرب القحطانيين الذين قدموا جماعة منهم الأندلس عقب الفتح، وكانت أسرة ابن الخطيب إحدى هذه القبائل الذين وفدوا من اليمن إلى الأندلس، وغلب نسب السلماني[1] على لسان الدين في المغرب حيث كان يعرف بابن الخطيب السلماني،[2] وعرف بيتهم ببيت "بني الوزير لصلة هذا البيت بالوزارة والحكم "فحملت أسرته هذا الاسم .[3]

عندما دخل السلمانيون الأندلس "اتخذوا قرطبة وطنا لهم ثم رحلوا منها بعد وقوع ما يعرف بوقعة الربض[4]، وهذه الواقعة أدت إلى هجرة الكثير من أعيان قرطبة[5] بعد أن أعطاهم الأمان، الأمير الذي ثاروا ضده ولم يتمكنوا منه، وهذا في قرطبة، 21 رمضان 202هـ 818م.

وكان من جملة الذين هاجروا في هذه الواقعة الذي حرض عليها فقها وعلماء قرطبة ضد الحكم بن هشام ونظامه الفاسد والجائر، أسرة ابن الخطيب وانتقلوا إلى طليطلة[6]، واستقروا بها قرابة القرن ونصف إلى أن غادروها في أواسط القرن الخامس الهجري، عندما أحسوا بقرب سقوطها في يد النصارى، وحطوا رحالهم في مدينة لوشة[7]، إذ "عرفوا هناك

---

[1] بوفلاقة: **التاريخي والأدبي في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب**، د ط، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، 1971م، ص8.

[2] ابن الخطيب: اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص21.

[3] ابن الخطيب: **معيار الاختيار في ذكر المعاهد وديار**، تح د.محمد كمال شبانة، دط، مكتبة الثقافة الدينية،1423هـ 2002م، ص11.

[4] واقعة الربض: قام بها أهل قرطبة ضد الحكم بن هشام، بقصد خلعه وذالك في رمضان 202هـ818م، لكن الحكم تمكن من إخمادها بالقمع والردع. ابن الخطيب: **الإحاطة**، المصدر السابق، ج4،ص439.*:الحكم ابن هشام: ثالث أمراء بني أمية ولد154هـ بقرطبة المعروف بلقب الحكم الربضي : المقري: نفح الطيب، المصدر السابق،ج1، ص338.

[5] قرطبة: قاعدة الأندلس، ومستقر خلافة الأمويين، المسجد الجامع الكبير المشهور. الحميري:**الروض المعطار في أخبار الأقطار**، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان1974م، ص 153.

[6] طليطلة: مدينة أندلسية، تقع غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة، كانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم ، هي على شاطئ نهر تاجه وعليه القنطرة التي يعجز الواصف عن وصفها. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، د ط، دار صادر بيروت، ج4، ص ص 40 41.

[7] ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص11.

ببني الخطيب وصارت كلمة الخطيب مرتبطة بهذه العائلة، بتولي الجد الأعلى للسان الدين بالخطابة وكان من أهل العلم والصلاح والدين والفضل.[1]

وقد غلب على جّده سعيد لقب الخطيب وورثه بنيه من بعده، فعرفوا ببني الخطيب منذ ذاك الحين، وخلفه من بعده ابنه عبد الله والد لسان الدين، وسلك مسلك والده وتقفا أثاره فتحلى بالنزاهة والخصال الحميدة، وكان قارئ للقرآن وفقيه وعالما بالحساب والأدب .[2]وترك سعيد جد لسان الدين لوشة[3] وقصد غرناطة فصاهر بعض أشرافها،وتقرب بهم إلى بلاط الحكم فأسندت إليه بعض المهام والأعمال الجليلة[4] ويبدو أن سعيد كانت نظرته واسعة وأماله كبيرة فتطلع لتحقيقها فوجد ضالته في الزواج من بنات القادة وذوي السلطان، للوصول إلى بغيته بأسهل الطرق، وأسرعها وأقلها تكلفة وضررا فتزوج مرة ثانية من قريبات زوجة السلطان، فأحكمت الصلة بين القصر وبين بيت ابن الخطيب، وزادت الحظوة وعلت المرتبة فعرف سعيد بالعلم و الخطابة وقوة الشكيمة ورباطة الجأش وحب الخير، توفي 683هـ 1284م[5]، وخلفه من بعده ابنه عبد الله والد لسان الدين وكان ابن الخطيب يتكلم على والده فلا يخلوا كلامه من الحب والإعجاب والإشادة بمناقبه، ولقد ولد عبد الله عام 672هـ 1273م وتوفي أبوه ولا زال صغير فكفلته أمه وحرصت على رعايته وتربيته[6] "وتلقى العلم والأدب عن جملة من أهل العلم والفقه، أمثال الخطيب أبي الحسن البلوطي وغيره[7] " وعاد عبد الله إلى بلد أسلافه لوشة مخصوصا بلقب الوزارة، وكان بها محل تقدير واحترام وعندما قام أبو إسماعيل بن الأحمر[8] المتوفي سنة725هـ/1325م، وثار ضد ابن عمه نصر

---

[1] المقري: **أزهار الرياض، في أخبار عياض**، تح مصطفى السقا وغيره، د.ط، دد، ج1، ص186.

[2] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5،ص11

[3] لوشة: بالفتح ثم السكون وشين معجمة، مدينة أندلسية تقع غربي البيرة قبل قرطبة منحرفة يسرا، وهي تقع على نهر سنجل (نهر غرناطة) بينها وبين قرطبة 20 فرسخا. الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق، ص 173.

[4] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص441.

[5] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق،ج5، ص11.

[6] د. نبيل خالد الخطيب: لسان الدين ابن الخطيب 776.713 هـ/1313 . 1374م نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، المرجع السابق، ص74.

[7]المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق،ج1، ص187.

[8]أبو إسماعيل بن الأحمر(725 . 733هـ /1325 .1333م): أبو عبد الله محمد أبي إسماعيل بن فرج النصري، تولي الحكم بعد وفاة ولده إسماعيل،كان صارم وشجاع وأحينا يكون متهور وعرف بحب الأدب والشعر.ابن الخطيب:الإحاطة، المصدر السابق،ج1، ص ص523 524.

وطالب الملك والإمارة لنفسه، وأنه هو الأحق والأجدر بها وتمكن من الوصول لهدفه في سنة713هـ، وقبض على ابن عمه ثم عفا عنه وولاّه إمارة وادي آش، وقد توفي نصر في نفس السنة[1].

"فاحتفلوا بمقدم عبد الله وأجزلوا نزله ولما تم لأبي إسماعيل الأمر سنة 713هـ 1314م وصحبه إلى دار ملكه وهناك تأكدت الحظوة وزادت الرفعة وعلت المنزلة، وبعد وفاة السلطان أبي الوليد إسماعيل[2] 725هـ 1324م لازم عبدا لله ولده محمد، المتوفى سنة 733هـ ثم أخوه السلطان أبا الحجاج يوسف المتوفى سنة 755هـ من أعظم سلاطين بني النصر وخدم عبد الله ديوان الإنشاء مع ابن الجياب وأسبغ عليه لقب الوزارة[3]" وسقط عبد الله شهيدا عام 741هـ 1340م في واقعة طريف[4] الكبرى، أو كما سماها ابن الخطيب في الإحاطة واللمحة البدرية باسم الواقعة العظمى، وقد رثى لسان الدين أباه بقصيدة شعرية طويلة نظمها فأحسن وأجاد تنظيمها جاء في مطلعها:

سِهَامْ المَنايَا لا تَطِيشُ ولا تُخطى*** وللّدهرِ كَف تَسترد الذّي تُعطي

وإنا وإنْ كُنَا ثَبجٌ الدُنَا *** فَلاَ بُدَ أنْ يَخِلَ على الشطِ

تُسَاوِى عَلَى وَرْدٍ الرَدَى كُلَ وَارِدٍ *** فَلَمْ يغن رب السَّيْفِ عَنْ رَبِة القِرط

وسَيان ذُلِ الفَقْرِ أو عِزَةُ الغِنَى *** وَمَنْ أَسْرَعُ السَيْرَ الحَثِيثُ وَمَنْ يُبطي[5].

[1] نبيل خالد الخطيب: لسان الدين ابن الخطيب، المرجع السابق، ص74.

[2] أبو الوليد إسماعيل نصر(740 . 761هـ):هو إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر، من ملوك بني النصر في الأندلس ثار ضد أخيه الغني بالله وكان سيئ التدبير. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص ص 152 .153

[3] نبيل خالد الخطيب: لسان الدين ابن الخطيب نثره وثقافته في إطار عصره، المرجع السابق، ص74

[4] معركة الطريف: هي معركة سمها ابن الخطيب في الإحاطة و اللمحة البدرية باسم الوقعة العظمى، وقعت بين الجيش الإسباني بتحريض من الكنيسة وجيش المسلمين من دولة بني مرين بقيادة أبي الحجاج يوسف وهزم فيها المسلمين واستشهد فيها والد ابن الخطيب. ابن الخطيب: اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص105.

[5] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص ص 17 18.

2- مولده:

كان مولد بن الخطيب في 25رجب 713هـ[1]، 1313م، هكذا ورد في درر الكامنة لابن حجر العسقلاني.[2]و ترجمته لنفسه في كتابه الإحاطة، لكن هو لم يحدد مكان ولادته بضبط فيعتقد بعض الباحثين والدارسين أنه ولد في غرناطة، وانتقل أبوه إلى لوشة ولم تمضي على ولادته أشهر[3].

المطلب الثاني: ألقاب بن الخطيب

هو لسان الدين أبو عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن علي أحمد السلماني كما ذكرناه سابقا، أنفرد بلقب لسان الدين بحيث لم يخبرنا لسان الدين متى وفي أية ظروف أطلق عليه هذا اللقب، واكتفى في ذالك بذكر أنه لقب مشرقي، ولعله يكون ورد هذا اللقب في بعض رسائل كتاب المشرق إليه، فخاطبه به أهل الأندلس والمغرب مثل ابن خلدون. ولم يكن هذا اللقب منتشر في الأندلس كثيرا، ولا حتى في المغرب وإن هذا اللقب، عرف به بن الخطيب واختص به دون غيره ولازمه في حياته واقتصر عليه وحده حتى بعد وفاته[4].

ولقب بذي الوزارتين[5]: "وهو لقب من ألقاب الدولة اشتهر به، وكان يطلق في العادة على من جمع بين وزارتي السيف والقلم، وقد حمله جماعة ممن سبقوه أمثال أحمد بن زيدون المتوفى سنة 493هـ 1099م شاعر دولة ابن عباد ووزيرها في اشبيلية، و ابن أبي الخصال المتوفى سنة 540هـ 1145م، وشيخ بن الخطيب محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحي بن محمد سعد الشهير بابن الحكيم المتوفى 708هـ 1309م، هذه المجموعة من الأعلام وغيرهم لقبوا بهذا اللقب دلالة على أن هذا اللقب يطلق على من حاز رتبة السيف والقلم"[6].

---

[1] الكتاني: **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تح إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1402هـ . 1982م، ج1، ص379.

[2] العسقلاني: **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، د.ط، دار الجليل بيروت، 1414 هـ 1993م، ج3، ص469.

[3] نبيل خالد الخطيب:لسان الدين ابن الخطيب نثره وثقافته في إطار عصره، المرجع السابق، ص75.

[4] نبيل خالد الخطيب: المرجع نفسه، ص69. ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق ، ج4، ص439.

[5] الكتاني: فهرس الفهارس، المصدر السابق، ص 379.

[6] نبيل خالد الخطيب: لسان الدين ابن الخطيب نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، المرجع السابق، ص69.

ولقب كذالك ابن الخطيب بلقب ذو العمرين[1]: وهذا لأنه كان نهاره في المملكة وشؤون الحكم والعباد، وليله في تأليف والكتابة ويذكر أنه أصيب بمرض الأرق، ولهذا لقب بذي العمرين[2].

كما أطلق عليه لقب ذي الميتتين وذي القبرين: لما شهده من أحداث في أيامه الأخيرة فالجناة الذين قتلوه وأوقعوا به وتأمروا على قتله لم يشفي غليل صدورهم موته، بل ضلت نيران الحقد والبغض تأكل قلوبهم إلى أن أخرجوه من قبره، وأضرموا النار فيه، ثم أعيد دفنه من جديد.

ذو اللسانين: "هذا لقب يطلق على من يستطيع التكلم بلغتين، وابن الخطيب كان يورد بعض الكلمات الأجنبية والألفاظ، ثم يتولى شرحها".[3]

المبحث الثاني: البيئة الغرناطية وتأثيرها على بن الخطيب

المطلب الأول: تأثير وتأثر بن الخطيب ببيئته

لقد عاشت غرناطة تتأرجح بين القوة وضعف والثبات والهزيمة وبين الأمن والقلق والهدوء والاضطراب، رغم هذه الظروف الشائكة إلا أنها في الداخل كانت كثيرا من الأوقات خلال عمرها البالغ حوالي قرنين ونصف تمتلئ بالإنتاج، كما تطمح بالخير و الرفاهة وتوفرت لها أيام مشهودة في الانتصارات والغلبة،مع قلت الإمكانيات وقسوة الظروف وكثافة الأعداء وحتى في الأيام العصيبة وأحلك الأوقات استطاعت أن تسير في الموكب الحضاري. وقطعت أشواط من التقدم الحضاري على قدر ما أوتيت من إمكانيات، وكانت تقدم لنا ألوان عديدة ومختلفة من الإنجازات مما يدل على حيوية ونشاط هذه الأمة المسلمة وعلى اهتمامهم بالعلم والعلماء، وما كانت عليه غرناطة في تلك الفترة حيث أصبحت هي مهد العلم والعلماء ومقصدهم من كل حدب وصوب، لأن غرناطة أصبحت هي الحصن الحصين للعلماء إذ أن باقي المناطق الأخرى دخلت في تقهقر وبقت هي شامخة رغم تلك الصعوبات،وأصبحت هي إرث الأندلس وصارت غرناطة هي المنارة العلمية التي تضئ مابين العدوتين وصولا إلى المشرق، فيستلهموا من نورها في العلوم المتعددة الحقول قدمت

[1] التطواني: **ابن الخطيب من خلال كتابته**، د ط، دار الطباعة المغربية تطوان، 1954، ص44.

[2] حسن الوراكلي: لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين دراسة و بيبليوجرافية، د ط، منشورات عكاظ، ص12.

[3] التطواني: ابن الخطيب من خلال كتابته، المرجع السابق، ص46.

التأليف والإنتاج الضخم كما حافظت على ما خطته أنامل العلماء وانتفعت به مثل كتاب ابن الخطيب الإحاطة الذي يعد إرث تاريخي للأندلس وغيره الكثير من التأليف العديدة لمختلف العلماء. وقد لمع في سماء غرناطة جملة من العلماء والمفكرين والشعراء والأدباء يصعب الإحاطة بهم، وعلى رأسهم الوزير ابن الحكيم اللخمي وابن الجياب والحكيم يحي بن هذيل وإسماعيل بن الأحمر وغيرهم[1]

وأبرزهم إشعاعا وشهرة والذي بلغ سيته بين المشرق و المغرب، الذي أنار العقول بكتاباته وأجلى دهشة السائل والحيران بما خطته أنامله، العالم الفذ الذي ملك زمام القلم والسيف، الشاعر المؤرخ المفوه الذكي الأريب. لسان الدين بن الخطيب السلماني[2] ظاهرة غرناطة ونجمها الأول ومن دون منازع، الذي ترعرع في أكناف غرناطة وفي قصورها وحضي بعناية والده داخل القصر "وتعلم على يد أكبر مشايخها في عصره مثل محمد بن أحمد بن محمد الحسني السبتي أبو عبد الله بن عبد الوالي العواد، فأخذ عنهم ونهل من مختلف العلوم"[3] فأصبح عالما لا يجاريه في علمه أحد، "وبعد وفاة أبي الحسن ابن الجياب أخذ منصبه فأنفرد بكتابة السر و أضاف إليه رسوم الوزارة"[4]ودخل معترك السياسة، فبزغ نجم جديد في سماء السياسة، فستق الخبرات من الأحداث التي جرت في عصره وعلى ما شاهده بعينه فصقل معارفه وبرزت مواهبه، وأصبح ندا إلى من عاصره وتفوق عليهم بفضل فطنته وخبرته ودهائه وفراسته.

إن البيئة الغرناطية الذي عاش فيها بن الخطيب أثرت عليه وشحذته كما يشحذ السيف على الحجر، وهو أثر عليها بسياسته وتدبيره وعلمه وتأليفه وكتاباته، حتى نقشت أشعاره على جدران قصورها وارتبط اسمه وذكره بها إلى يومنا هذا.

---

[1] عبد الرحمان علي الحجي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة92هـ 897م . 711هـ 1492م**، دار القلم دمشق، بيروت، ط2، 1302هـ 1981م، ص559.

[2] عبد الرحمان علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة92هـ 897م . 711هـ1492م، المرجع السابق، ص559.

[3] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص189.

[4] العسقلاني: الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج3، ص470.

المطلب الثاني: ما قيل في شخصية بن الخطيب

لقد نالت شخصية بن الخطيب المخضرمة والفذة إعجاب الكثير ممن عاصره، أو نقبوا مناقبه، أو درسوا تاريخ المملكة الفتية التي حملت على عاتقها المحافظة على ما تبقى من إرث الأندلس، ورغم كل الصعوبات الذي واجهها إلا أنها تألقت هذه الشخصية الفذة في شتى المجالات العلمية منها والسياسية.

وقال فيه المقري في كتابه نفح الطيب: "هو الوزير، الشهير، الكبير، لسان الدين الطائر الصيت في المغرب والمشرق المزري، عرف الثناء عليه بالعنبر والعبير، المثل المضروب في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف أنوعها ومصنفاته تخبر عن ذلك ولا ينبئك مثل خبير، علم الرؤساء الأعلام، الوزير الشهير الذي خدمته السيوف والأقلام، وغني بمشهور ذكره عن مسطور التعريف والإعلام[1]."

وخاطبه تلميذه ابن زمرك في رسالة قائلا: "أبو معارفي وولي نعمتي ومعيد جاهي ومقوي كمالي ومورد أمالي ممن توالي نعمه علي ويتوفر قسمه لدي ..."[2]، وقال فيه أيضا صديقه ابن خلدون: "آية من آيات الله في النثر والنظم، والمعارف والآدب، ولا يساجل مداه ولا يهتدي فيها بمثل هداه..."[3]، كما قال فيه ابن قنفذ القسنطيني: "شيخنا الفقيه الكاتب الشهير الذي سمعت جملة من تواليفه بقراءته هو في مجالس مختلفة"[4]، و وصفه المقري قائلا: "فارس النظم والنثر في ذالك العصر والمنفرد بالسبق في تلك الميادين، بأداة الحصر كيف لا ونظمه لم تستول على مثله أيدي العصر ونثره تزري صورته بالخريدة ودمية القصر"[5]، وقال عنه المقري أيضا: " لسان الدين إمام هذه الفنون المحقق لذوي الآمال الظنون،المستخرج من بحر البلاغة درها المكنون، وله اليد الطولى في العلوم، على اختلاف أجناسها، والألفاظ الرائقة التي نزيج وحشة الأنفس بإيناسها". وقال فيه أبيات شعرية من أحسن ما قيل فيه وأروع ما يوصف جاء فيها :

---

[1] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص7.

[2] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق،ج2، ص311.

[3] ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح خليل شحاذة وآخرون، دار الفكر، دمشق،1421هـ200م، ج7، ص442.

[4] ابن قنفذ القسنطيني: **الوفيات**، تح عادل النويهض، ط4، دار الأفاق الجديدة، بيروت1403هـ 1983م، ص370.

[5] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص70.

لَيْتَ شِعْرِي أَيُ العِبَارَاتِ تُوفِي***وَاجِبُ ابنُ الخَطِيبِ مِمَا أَرُومُ
وأنَا عَاجِزٌ عَن البَعْضِ مِنْهَا*** لِقُصُورِي وَمَا العَيِي مَلومُ
وهُوَ يَدْعِي لِسَانُ دِينِ وَنَاهِيكَ*** افْتِخَارًا بِهِ تَتِمُ الرُسُومُ
فَبِأَيِ الحلى أُحَلِي عِلْمًا نَالَ*** فَضْلاً رَوَتْهُ عَرَبٌ وَرُومُ
الحِفْظُ قَدْ ارْتَوَى مِنْ مُعِينٍ *** لِصَوَابٍ عَلَيْهِ كَانَ يَحُومُ
أَمْ لِفِهْمٍ يَسْتَخْرِجُ الدُّرَ غَوْصًا *** مِنْ بِحَارٍ يَخْشَى بِهَا مَنْ يَعُومُ
أَمْ لِفِكْرٍ مُؤَلَفٌ فِي فُنُونٍ***عَنْ دَهَاءٍ تُدَاوِي بِهِ الكَلُوم.[1]

وقال فيه كذالك أبو يحي محمد بن أحمد بن الأكحل :

أَشْرَفَ مَنْ حَظَ المُلُوك علَى التُقَى *** وَأَبْدَى لَهُمْ نُصْحًا وَصِيَةَ مُرْشِدِ
وَسَاسَ الرَعَايَا الآنَ خَيْرَ سِيَاسَةٍ *** مُبَارَكَةٍ فِي كُلِ غَيْبٍ وَمَشْهَدِ
وَأَرَضَ عَنْ دُنْيَاهُ زَاهِدًا وَإِنَهَا*** لَمَظْهَرَةَ طَوْعًا لَهُ عَنْ تَوَدُدِ
مَا هُوَ إلاَ اللَيْثُ والغَيْث إِنْ*** أَتَى لَهُ خَائِفٌ أَوْ جَاءَ مُغَنَاهُ مُجَنَدُ
وَبَحْرُ عُلُومٍ دُرَهُ كَلِمَاتُهُ إِذَا*** رُدِدَتْ فِي الحَفْلِ أَيُ تَرَدُدٍ[2]

كما مدحه العالم الشهير الفذ بن مرزوق التلمساني عندما التقيا في المغرب بفاس قائلا:

يَا قَادَمًا وَافَى بِكُلِ نَجَاحٍ***أَبْشِرْ بِمَا تَلْقَاهُ مِنْ أَفْرَاحٍ
هُذَي ذُرَى مَلِكُ المُلُوكِ فَلُذْ***بِهَا تَنَالُ المُنَى وَتَفُزْ بِكُلِ سَمَاحٍ
مغنى الإمام أبي عنان بمنن***تظفر ببحر العلى طفاح
من قاس جود أبي عنان ذي***الندى بسواه قاس البحر الضحضاح

إلى أن قال:

مَنْ كَانَ ذَا تَرَحٍ فَرُؤْيَةَ وَجْهِهِ *** مُتَلَافَةَ الأَحْزَانِ وَالأَتْرَاحِ
فَنَهَضَ أَبَا عَبْدُ الإِلَهِ تَفُزْ بِمَا *** تَبْغِيهِ مِنْ أَمَلٍ وَنَيْل نَجَاحٍ
لاَ زِلْتَ تَرْتَشِفُ الأَمَانِي رَاحَةِ *** مِنْ رَاحَةِ المَوْلَى كُلَ صَبَاحٍ[3]

[1] المقري: نفح الطيب، المصدر نفسه، ج1، ص ص 109 110.
[2] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق،ج3، ص205.
[3] ابن الخطيب:الإحاطة، المصدر نفسه،ج3، ص108.

وقال فيه تلميذه ابن زمرك أبيات شعرية مدحه فيها وعبّر فيها عن شوقه وحبه المكنون له قائلا:

أَصْبَحْتُ أَشْكُو مِنْ زَمَانٍ*** مَا بِتُ مِنْهُ عَلَى زَمَانٍ
مَا بَالُ عَيْنَيْكَ تَسْجُمَانِ*** وَدَمْعٌ يَرْفُضُ كَالجُمَانِ
نَادَاكَ والإِلْفُ عَنْكَ وَانٍ *** وَالْبُعْدُ مِنْ بَعْدِهِ كَوَانِ
يَا شَقَةَ النَفْسِ مِنْ هَوانِ***لُجَجٌ فِي أَبْحُرِ الهَوْنِ
لَمْ يُثْنِى عَنْ هَوَاكَ ثَانٍ*** يَا بُغْيَةَ القَلْبِ قَدْ كَفَانِي[1]

وقال عنه آنخل بالنثيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي: "أن كتابة تاريخ الغرب الإسلامي في القرن الرابع عشر ميلادي تبلغ ذروتها باسميين كبيرين، هما ابن الخطيب المؤرخ المتفنن والسياسي الأديب وابن خلدون منشأ فلسفة التاريخ. لكن ابن الخطيب يسمو على جميع كتاب عصره بشخصيته الفذة ومؤلفاته الكثيرة، إذ كان شغوفا بالعلوم الطبيعية والفلسفة التي درسها على شيخيه الطبيب ابن هذيل"[2]

وقال عنه كارل بروكلمان: "تستطيع هذه الإمارة الصغيرة الفتية إمارة بني الأحمر أن تفتخر أيضا بمؤرخ كبير، اضطربت حياته واختلفت عليه الأحوال بعد نعمة إلى بؤس فهو يمثل أحسن تمثيل الحياة السياسية القلقة في هذه الدولة الهزيلة خلال القرن الرابع عشر ميلادي."[3]

[1] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج2، ص311.

[2] آنخيل بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر حسين مؤنس، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، ص251.

[3] كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر نبيل أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار الملايين للعلم، بيروت، 1968، ص334.

الفصل الثاني

ابن الخطيب العالم

المبحث الأول: شيوخه و تلاميذه

المطلب الأول: شيوخه

المطلب الثاني: تلاميذه

المبحث الثاني: إنجازات بن الخطيب العلمية

المطلب الأول: مؤلفاته

المطلب الثاني: أشعاره ورسائله

المبحث الأول: شيوخه وتلاميذه

المطلب الأول: شيوخه

أما عن مشايخه الذين تتلمذ عليهم وصقل مواهبه على يدهم، تحدث عنهم كثير، يورد بن الخطيب في كتابه الإحاطة أسماء العديد منهم، نتوقف عند من كان له أثر كبير في تكوين شخصيته وأدبه.

– ابن الجياب: هو علي بن محمد بن سليمان الجياب الأنصاري، الوزير والشاعر أستاذ بن الخطيب وشيخ المغرب والأندلس، في نظم والنثر،وسائر العلوم الأدبية، وكان قائم على ديوان الإنشاء، وتوفي بوباء الطاعون سنة 749هـ 1349م[1]، قال ابن الخطيب عنه: "وتأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى، الصالح الفاضل، أبي الحسن بن الجياب."[2]

– ابن هذيل: هو الفقيه أبو زكريا يحي ابن أحمد بن هذيل التجيبي، "الشيخ الحكيم العلامة التعليمي، الشاعر البليغ، أعجوزة زمانه في الاطلاع على علوم الأوائل"[3] اضطلع في العديد من العلوم" وبرز في الطب وانتحل الأدب أخذ عنه لسان الدين علوم الطب والفلسفة"[4]وترجم له ابن الخطيب في كتابه الإحاطة.

أبو الحسن القيجاطي: هو أبو الحسن علي بن عمر بن إبراهيم الكنائي القيجاطي،" أوحد زمانه علما وتخلقا وتواضعا وتفننا،وجاء إلى غرناطة سنة 712هـ "[5]، درس عليه بن الخطيب القرآن والعربية وكان أول من انتفع به[6]

– ابن فخار الأيبيري: هو أبو عبد الله محمد بن علي ابن الفخار قال عنه ابن الخطب في كتابه الكتيبة الكامنة:" انتصب يقرئ الفنون، حتى وفته المنون، وأوجب الله به النفع فوجب وقل أن يقرأ عليه أحد إلا نجب"[7] كان إمام عصره في اللغة العربية وقد أخذ عنه بن

---

[1] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص204

[2] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص458.

[3] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص487.

[4] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص204.

[5] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق،ج5، ص507.

[6] ابن الخطيب:الإحاطة،المصدر السابق، ج4، ص459.

[7] ابن الخطيب: **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة**، تح إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، لبنان بيروت،1983، ص70.

الخطيب الفقه والتفسير، وقال فيه ابن الخطيب في الإحاطة: " الإمام المجمع على إمامته في الفنون العربية، المفتوح عليه من الله، حفظا، واضطلاعا، ونقلا وتوجيها."[1]

ابن بكر المالقي: هو محمد بن يحي بن محمد بن أحمد بن بكر بن سعيد الأشعري المالقي يعرف بابن بكر، من ذرية أبي موسى الأشعري،" كان من صدور العلماء، وأعلام الفضلاء سذاجة ونزاهة ومعرفة وتفننا، فسيح الدرس، أصيل النظر واضح المذهب، كان مولده في أواخر شهر ذي الحجة عام 664هـ،و وفاته في معركة الطريف سنة741هـ."[2]

– أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني السبتي:" الفقيه الجليل الشريف النبيل الشهير، رئيس العلوم اللسانية بالأندلس، قاضي الجماعة، كان هذا الشريف آية الله الباهرة في العربية والبيان والأدب، ويكفيه فضلا أنه شرح الخزراجية[3]"[4]

–أبو البركات ابن الحاج: هو محمد ابن إبراهيم بن محمد ابن الشيخ الوالي أبي إسحاق ابن الحاج البلفيقي، الإمام العلامة قاضي الجماعة" نادرة الزمان، وشاعر ذالك الأوان، أحد رجال الكمال علما ومجدا وسؤددا، موروثا ومكتسب."[5]أحد أعلام الأندلس في عصره، وشيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس.

– ابن بيبش: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بيش العبدري، كان له نظم جيد[6]، قال فيه ابن الخطيب:" شيخ قديم الطلب، حمد المأم والمنقلب، معروف انقباضه وصوته، منذ تعين كونه، عانى صناعة النحو، بين الإثبات والمحو، واشتهر بالإلحاح على كتب الصحاح واقتصر على تجارة في الكتب" كان له في العربية باع مديد وفي هدفها سهم سديد.[7]

– أبو عبد الله المقري التلمساني: هو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، الملقب بشمس الدين، قال فيه ابن الخطيب:" هذا الرجل من

---

[1] ابن الخطيب:الإحاطة،المصدر السابق، ج4، ص459.

[2] أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج،تح عبد الحميد عبد الله الهرامة**، ط2، منشورات دار الكتاب، طربلس، 2000، ص ص 396 399.

[3] الخزرجية: هي قصيدة الخزرجي في العروض، وشرحها الشريف وأطلق عليها اسم رياض الأبي في شرح قصيدة الخزرجي. المقري :نفح الطيب،المصدر السابق، ج5، ص189.

[4] المقري: نفسه، ص189.

[5] المقري: نفسه، ص481.

[6] المقري: نفسه، ص384.

[7] ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، المصدر السابق، ص90.

طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة"، كان خطيبا فقيها مشاركا في فنون وأصول وفروع والتفسير توفي سنة 758هـ."[1]

– أبن صفوان: هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان، " كان مشارك في التصوف والفلسفة يجيد الشعر والكتابة، توفي بمالقه جمادى الثانية وقيل أيضا في ذي القعدة الشهر فيه شك سنة 763هـ 1362م. بقية الأعلام أديب من أدباء هذا القطر، وصدر من صدور كتابه ومشايخه، ناظم وناثر،عارف، ثاقب الذهن، قوي الإدراك، أصيل النظر، إمام الفرائض والحساب والأدب والتوثيق."[2]

المطلب الثاني: تلاميذ ابن الخطيب

– ابن زمرك: هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصرحي أبو عبد الله المعروف بابن زمرك كان مولده في 4شوال733هـ، قال عنه أستاذه ابن الخطيب الإحاطة: "ولد هذا الفاضل بغرناطة، ونشأ بها وهو من مفاخرها صدر من صدور طلبتها وأفرد نجبائها مختصا مقبولا، هشا خلوقا، عذب الفكاهة، حلو المجالسة، كلفا بالقراءة، عظيم الدؤوب ثاقب الذهن، أصيل الحفظ ظاهر النبل رحل في طلب العلم كتب عن ولد السلطان أبي سالم بالمغرب وعرف بالإجادة ثم رجع مع السلطان أبن الأحمر ،وأخذ عن أبن الفخار البيري ثم على إمامها القاضي الشريف أبي القاسم الحسني إمام الفنون اللسان، والفقه والعربية على الأستاذ المفتي بن لب، واختص بالفقيه المحدث الصدر ابن مرزوق وروى عنه كثيرا، وذكر القاضي المقري لما قدم من الأندلس وأخذ الأصول على أبي علي منصور الزواوي، وروى عن القاضي أبي البركات والخطيب اللوشي وتولى الكتابة عن السلطان ابن الأحمر بعد ابن الخطيب وحضي عنده جدا وبقي عليها زمن طويلا ."[3] كان من أحب تلاميذ إلى ابن الخطيب، ومهد له ابن الخطب في القصر قبيل أن تتحول المحبة إلى بغض وكره.

بن زمرك شاعر فحل له عدت أشعار نذكر منها:

نونية بن زمرك وهي قصيدة ميلادية أنشدها عام756هـ

لَعَلَ الصِبَا إِنْ صَافَحْت رَوضُ نُعْمَان *** تُؤَدِي أَمَان القَلبِ عَنْ ظَبْيةَ البَيَانِ

[1] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص390.

[2] بن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص229. بن الخطيب: الكتيبة الكامنة، المصدر السابق، ص216.

[3] التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص 478 479.

وَمَاذَا عَنْ الأَرْوَاحِ وَهِيَ طَلِيقَةٌ***لَو احْتَمَلتْ أَنْفَاسَهَا حَاجة العَانِي
وَمَا حَالُ مَنْ يَستَودِعُ الرِيحَ سِرهُ *** وَيَطلُبُها، وهِي النَمُومُ، بِكِتْمَانِ
وَكَالطَيفِ أَسْتَقِرُ بِهِ فِي سنة الكَرَى***وَهَلْ تَنفَعُ الأَحْلاَمُ عِلَةَ ظَمْآنِ[1]

أجود ما قال بن زمرك كذلك، موشحته في مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام.

لَوْ تَرْجَعُ الأَيَامُ بَعْدَ الذَهَاب *** لَمْ تَقْدح الأَيَامَ ذِكْرَى حَبِيبٍ
وَكُلُ مَنْ نَامَ بِلَيْلِ الشَبَابَ *** يُوقِظُه الدَهْر بِصُبْح المَشِيبِ
يا راكب العجز ألا نهضة ***قد ضيقة الدهر عليك المجال
لاَ تَحْسَبَنْ الصِبَا رَوْضة *** تَنَامُ فِيهَا تَحْتَ فِيءِ الظِلَالِ
فَلْعَيْشُ نَوْمٌ وَالرَدَى يَقَظَةُ***والمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالخَيْلِ.[2]

وقوله كذالك:

مَعَاذَ الهَوَى أَنْ أَصْحَبَ القُلُوبَ سَالِيًا*** وَأَنْ يَشْغل اللِوامُ بِالعَذلِ بَالِيَا
دَعَانِي أَعْطَ الحُبَ فَضْل مَقَادَتِى*** وَيَقْضِى عَلَى الوُجُودِ مَا كَانَ قَاضِيَا[3]

ومن خلال أشعار ابن زمرك نستنتج أنه كان شاعرا فحلا متمكنا، ورجل سلام ومحبة وورع هذا قبيل أن تدخل السياسة قلبه وحب المناصب والاستبداد، وسعي إلى استفراد بسلطان لنفسه وأزاحت من ينافسه عليه.

– الطيب العالم ابن المهنا: الطبيب العالم أشهر من نار على علم في مجال الطب" شارح ألفية ابن سيناء، وشرحه عليها من أبدع الشروح، وقد نقل عن لسان الدين كثيرا، واعتمد عليه في أمور الطب."[4]

– أبو بكر ابن جزي الكلبي: أبوه الشيخ أبو القاسم ابن جزي شيخ لسان الدين، وأبو بكر تلاميذ لسان الدين وقال عنه المقري: "ورأيت بخط بعض علماء المغرب أن أبا بكر، روى عن لسان الدين ابن الخطيب جميع تواليفه."[5] أبو عبد الله الشرشي:" من تلاميذ أبن الخطيب، مؤدب أولاد الملوك ومعلمهم القرآن وسنة، وهو الذي تولى أولا نقل الإحاطة من

[1] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص46.
[2] المقري: نفسه، ج7، ص280.
[3] ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص305.
[4] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص281.
[5] المقري: نفسه، ص282.

مبيضتها، وألقى إليه ابن الخطيب بالمبيضات اعتمادا منه عليه، وثقة به، لاشتغال لسان الدين بأمور المملكة."[1]

– أبو محمد عطية بن يحي: بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبدا لرحمان بن غالب بن عطية المحاربي، ولد بوادي آش آخر عام709هـ، قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة"كاتب الإنشاء بالباب السلطاني أبو محمد، نسيج وحده في أصالة البيت وعفاف المنشاة، مقصود المنزل، نبيه الصهر." له نظم وناثر، ولي الخطابة و الإمامة بوادي آش عام 738هـ ثم ولي القضاء عام 743هـ.[2]

– أحمد بن سليمان بن فركون: من تلاميذ أبن الخطيب ذكره ابن الخطيب في الإحاطة وأشاد بيه وأثنى عليه قائلا:" بأنه شعلة من شعل الذكاء والإدراك وأنه طالب نبيل مدرك نجيب"، هذا كان في البداية ثم تغير الحال لأن أبن فركون كان من الزمرة الذي تغيرت على أبن الخطيب.[3]

المبحث الثاني: إنجازات ابن الخطيب العلمية

المطلب الأول: مؤلفات ابن الخطيب

قال المقري: " أعلم أن مصنفات لسان الدين ابن الخطيب التي بلغت نحو الستين كلها في غاية البراعة، بحيث أنه لم يأت أحد من أهل عصره بما جاء به، بل وكثير من غير عصره . رحمه الله تعالى . وقد وقفت بالمغرب على كثير منها"وقال فيها المقري:

تَصَانِيف الوَزِيرِ ابْنُ الخَطِيبِ*** أَلَذُّ مِنْ الصِبَا الغَّضِ الرَطِيبِ

فَأَيَةُ رَاحَة وَنَعِيم وَعَيْش*** تُوَازِي كُتُبَهُ أَمْ أَي صَيْبِ.[4]

1– المؤلفات التاريخية:

– طرفة العصر في تاريخ دولة بني النصر[5]: هو كتاب شهير في ثلاثة أسفار كتبه ابن الخطيب ليعرف بملوك غرناطة من سلالة السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف محمد الجزري بين فيه سيرة كل واحد منهم وأعماله التي اشتهر بها.

[1] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج7 المقري: نفسه، ص282.

[2] المقري: نفسه ، ص282.

[3] المقري: نفسه، ص287.

[4] المقري: نفسه، ص97.

[5] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص190.

– ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب[1]: من الكتب التي ألفها ابن الخطيب بعد الإحاطة ذو قيمة وشهرة، نظرا لما حواه من الأحداث التاريخية الهامة والمتعلقة بإنجازات سلاطين بني نصر ،منها ما يصب في باب الجهاد والدفاع عن حرمة مملكة غرناطة وأهلها.

– رقم الحلل في نظم الدول[2]: تعرض فيه إلى أوصاف سلاطين بني الأحمر ومدح مناقبهم كالأمير محمد بن الأحمر مؤسس الدولة النصرية.

– أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام[3]: يعد هذا الكتاب من المؤلفات التاريخية الشهيرة، الذي كتبها ابن الخطيب وهو بعيد عن وطنه غرناطة، وتمكن أهميته في الأحداث والمعلومات التاريخية التي حفل بها في الأندلس والمغرب.

– اللمحة البدرية في الدولة النصرية :"عالج فيه تاريخ مملكة غرناطة، فوصف أهل المملكة ووضح عاداتهم وتقاليدهم ودرس تاريخ ملوكهم"[4]

– الإحاطة في أخبار غرناطة : أشهر كتب ابن الخطيب على الإطلاق وهو من المؤلفات التاريخية المهمة، ترجم فيه لعدد من سلاطين غرناطة وأمرائها وعلمائها الذين وفدوا إليها من المشرق والمغرب، وفي نهايتها ترجم لنفسه وذكر سبب تأليفه.[5]

– نفاضة الجراب في علالة الإغتراب : سجل مذكرات شخصية عن المدة التي قضها في مدينة سلا المغربية، وتحدث عن مشاهداته لهذه الربوع، وهنئ سلطان المغرب أبا سالم المريني بفتح تلمسان[6].

2- المؤلفات الجغرافية :

– خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف[7]: رسالة مسجعة في الوصف الجغرافي لغرناطة.

– معيار الإختبار في ذكر أحوال المعاهد وديار[1]: تناول وصف أهم المدن المغربية وكتبه في غربته.

---

[1] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص189.

[2] المقري: نفسه، ص190.

[3] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص101.

[4] عبد العزيز فيلاني: تاريخ الغرب الإسلامي، د.ط، دار الهدى لطباعة عين مليلة الجزائر 2019، ص205.

[5] عبد العزيز فيلاني: تاريخ الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص207.

[6] فيلاني: نفسه، ص205.

[7] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص100.

– مفاضلة بين مالقة وسلا[2] : رسالة مسجعة في الأدب الجغرافي قارن فيها ابن الخطيب بين مالقة الأندلسية وسلا المغربية.

4-مؤلفات التراجم :

– إكليل الزاهر فيما ندر عن التاج من الجواهر[3]: هو من مؤلفات ابن الخطيب الصغرى ذكره في مناسبات عدة في كتاب الإحاطة عند التعريف بالشخصيات .

– التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى[4]: يعد هذا الكتاب مختصر لتاريخ مملكة غرناطة وتراجم أعيانها.

– الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: " هذا الكتاب عبارة عن تراجم لطائفة من الأدباء والعلماء والكتاب المعاصرين للمؤلف،متضمنا نماذج من آثارهم شعرا ونثرا،ولقد حرره سنة774هـ"..[5]

5-المؤلفات الإسلامية :

1 – روض التعريف بالحب الشرف :"تكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة، و بذلك سجل عليه أعداؤه في نكبته الآخرة التي ذهبت فيها نفسه، ونسبوه إلى مذهب الحلول وغيره."[6]واتخذوه حجة عليه في المحكمة التي أقيمت ضده.

2– الحلل المرقومة في اللمع المنظومة:"هي عبارة عن أرجوزة من ألف بيت في أصول الفقه."[7]

6-المؤلفات الأدبية :

– الصب والجهام والماضي والكهام[8]:وهو عنوان لديوان ابن الخطيب في الشعر ويقع في سفرين جمع فيه معظم أشعاره

– السحر والشعر:اختيارات شعرية اختارها لتأديب ولده عبد الله.

---

[1] ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص16.

[2] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص189.

[3] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص461.

[4] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص189.

[5] ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص32.

[6] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق،ج7، ص100.

[7] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص462.

[8] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص461.

– جيش التوشيح: اختارها من أئمة هذا الفن بالأندلس.[1]

– مثلى الطريقة في ذم الوثيقة:"هي رسالة في توثيق تتضمن مناقشات، جرت بين ابن الخطيب وبين أهل الطريقة نظما ونثرا، والتنبيه على بعض معايبها"[2].

– ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب :"عبارة عن مقتبسات من مؤلفاته الأخرى مثل رقم الحلل وغيرها"[3]يشمل مجموعة من الرسائل السلطانية والسياسية زيادة على ذالك يحتوي على مخاطبات ملوك النصارى.

7-مؤلفات السياسية :

– كناسة الدكان بعد إنتقال السكان[4] :ألفه في إقامته بمدينة سلا منفيا بالمغرب وهو عبارة عن "مجموعة الرسائل السياسية، كتبها في بداية، خدمته الوزارية عن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول، إلى السلطان أبي عنان فارس المريني "[5]

– الإشارة إلى أدب الوزارة : "تحدث فيه ابن الخطيب عن واجبات الوزير، وما ينبغي توافره من الشروط في من يتقلد هذا المنصب"[6]

8-المؤلفات الطبية :

– عمل من طب لمن حب :"مؤلف طبي ضخم،يتناول فيه ابن الخطيب مختلف الأمراض ويذكر لنا أسباب كل مرض وأعراضه وعلاجه، ونظام الغذاء الذي يناسبه"[7] كما أشاد فيه بسلطان أبي سالم بعبارات رنانة.

– (رجز في الأغذية)أو (أرجوزة الأغذية): "وهي تقع في نحو ألف ومائتي بيت، تتضمن ذكر الأغذية، مرتبة على حروف المعجم، وطبعتها ومنافعها ومضارها."[8]

---

[1] ابن الخطيب: **روضة التعريف بالحب الشريف**، تح محمد الكتاني، ط1، بيروت1970، ص31.

[2] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص64.

[3] ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص31.

[4] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص100.

[5] ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص36.

[6] ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص34. ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص462.

[7] ابن الخطيب: الإحاطة، نفسه، ج1، ص66. ابن الخطيب: معيار الاختيار، نفسه، ص34.

[8] ابن الخطيب: الإحاطة، نفسه، ص67.

– الوصل في حفظ الأغذية في الفصل، وله رسالة طبية وصحية من نوع خاص عنوانها (مقنعة السائل عن المرض الهائل):وهي "رسالة كتبها عن الطاعون الذي دهم الأندلس وسائر العالم الإسلامي في سنة749هـ، وفيها يصف ظروف ظهوره وروعة انتشاره."[1]

9– المؤلفات المفقودة:

إن مؤلفات ابن الخطيب التي لم تصل إلينا، قد هلكت وأتلف معظمها في محنة إحراق كتبه، التي وقعت في غرناطة سنة 773هـ، والكتب الذي وصلت إلينا، كانت عن طريق المغرب حيث ألفها واحتفظ بها في مكاتب مغربية.

لابن الخطيب عدة رسائل طبية وصحية نذكر منها" المسائل الطبية، اليوسفي في صناعة الطب، رسالة تكوين الجنين، وكتاب البيطرة تناول فيه خصائص الخيل ومحاسنها، البيطرة والبزرة."[2]

– أبيات الأبيات[3]: مجموعة رسائل اقتضها بن الخطيب من نثر وشعر شيخه ابن الجياب كما جمع شعر أستاذه وصديقه أبي جعفر بن صفوان المالقي، وأسماها " الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة".[4]

– خلع الرسن في تعريف بأحوال ابن الحسن: مفقود[5].الصب والجهام والماضي والكهام، وهو سفرين الثاني مفقود[6]

– الغيرة على أهل الحيرة: رسالة في الرد على أهل الزيغ في اعتمادهم على أصول باطلة مفقود.

– الزبدة الممخوضة: ويبحث في خلاصة أصول الدين، مفقود.

– النفاية بعد الكفاية: هكذا أورد ابن الخطيب عنوانه وعند المقري النقاية بالقاف، مفقود.

المباخر الطيبة في المفاخر الخطيبة:" ألفه للسلطان ابن فارس المريني، بعد لجوئه إلى المغرب ويدور موضوعه في الرد على خصومه الذين انتقصوا من منزلته وذكر فيه كذالك نباهة أسلفهم ومالهم من مجد عظيم" مفقود.

---

[1] ابن الخطيب: نفسه، ص68.

[2] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ص68.

[3] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق،ج7، ص100.

[4] ابن الخطيب:الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص67

[5] ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص35.

[6] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق،ج1،ص64.

– تافه من جم ونقطة من يم: وهي عبارة عن مجموعة رسائل من نثر وشعر أستاذه ابن الجياب، مفقود.

– أبيات الأبيات: يحتوي على جملة من قصائد شعرية، ذكره في مؤلفاته، مفقود.[1]

المطلب الثاني: أشعار ابن الخطيب ورسائله

أما موشحاته فكثيرة، وانتهت إليه رياسة هذا الفن، فكان شاعرا فحلا أعاد إلى الشعر روعته. من أشعار ابن الخطيب:

شعره الذي ألقاه على مسامع سلطان المغرب أبو سالم، بعد حدوث النكبة فأبكى به الحظور قال فيها:

قَصَدْنَاكَ يَا خَيْرَ المُلُوكِ عَلَى النوى ***لتُنْصِفَنَا مِمَا جَنَى عَبْدَكَ الدَهْرَ
كَفَفْنَا بِكَ الأَيَامُ عَنْ غَلْوَائِهَا *** وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْهَا التّعَسُفُ والكِبرى
وعُذنا بِذَاك المَجْدُ، فَانْصَرمَ الرَدى***ولُذنا بِذَاكَ العَزْم، فَانْهَزَم الشَرُ
وَلَمَا أَتَيْنَا البَحَرَ يَرْهُبُ مَوجهُ****ذَكَرْنَا نِدَاكَ الغمر فاحْتَقَرَ البَحْر.

ومنها أيضا:

وَأَنْتَ الذِي تَدْعِي إِذَا دهَمَ الرَدَى***وَأَنْتَ ترْجَى إِذَا خَلَفَ القطرُ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَرْعَى الدَخِيل وَنَ دَعَا *** بيَا لِمَرِين جَاءَهُ العِزُ وَالنَّصْرُ
وَخُذْ يَا أَمَامَ أَلحَق ثَأْرَه *** فَمِنْ ضِمْنِ مَا تَأْتِي بِهِ العِزُ وَالأَجْرُ.[2]

كذلك من أشعاره شعره الذي كتبه لصديقه وصفيه ابن خلدون عند قدومه للأندلس، قال فيه :

حَلَلْتَ حُلُولَ الغَيْثِ بِالبَلَدِ المَحَل ***عَلى الطَائِرِ المَيْمُونِ وَالرَحِبِ وَالسَّهْلِ
يَمِين بِمَنِ تَعْنُو الوُجُوهُ لِوَجْهِهِ *** مِنْ الشَيْخِ والطِفْلِ المُهَدإِ وَالكَهْلِ
لَقَدْ نَشَأْتَ عِنْدِي لِلُقْيَاكَ غِبْطَة*** تُنْسِي اِغْتِبَاطِي لِشَبِيبَة وَالأَهْلِ.
وَوِدِي لَا يَحْتَاجُ فِيهِ لِشَاهِد*** وَتَقْرِيرِي اَلْمَعْلُوم ضَرْبٌ مِنَ الجَهْلِ[3]

---

[1] محمد بشير العامري: المؤرخ الوزير ابن الخطيب الغرناطي شيخ علماء غرناطة، مجلة التربية للبنات، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، المجلد 27، 2016، ص ص 562 563.

1 بن الخطيب: **الإشارة إلى أدب الوزارة**، تح د.محمد كمال شبانه، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م، ص16. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج7، ص46. المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص168.

[3] ابن خلدون: **رحلة ابن خلدون شرقا وغربا**، تح محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص84.

ومن أبرز أشعار وموشحات ابن الخطيب والذي ذاع صيتها ولا تزال راسخة لليوم بل لحنها أشهر وأكبر فنانين، عصرنا وهي قصيدة جادك الغيث، يقول فيه:

جَادكَ الْغَيْثُ إِذَا اَلْغَيْثُ هَمَى*** يَا زَمَان الْوَصْل بِالأَنْدَلُسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلاَّ حُلُمًا*** فِي الْكرَى أَوْ خِلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ
إِذْ يَقُولُ الْدَهْرُ أَشْتَاتَ الْمُنَى *** يَنْقُلُ الْخَطُو عَلَى مَا يَرْسُمُ
زَمرَا بَيْنَ فَرَادَى وَثَنَا*** مِثْلَمَا دَعُو الْوَفْد الْمَوْسِمُ
وَالْحَيَا قَدْ جلَّل الْرَوْض سَنَا *** فَثُغُورَ الْزَهْرِ مِنْهُ تَبَسَمُ
وَرَوَى الْنَعْمَانُ عَنْ مَاءِ الْسَمَاءِ *** كَيْفَ يَرَى مَالِكُ عَنْ أَنَسِ
فَكَسَاهُ الحُسْنَ ثَوْبَا مُعَلِمَا***يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ
فِي لَيَالٍ كَتَمَتْ سَرَى الْهَوَى***بِالدُجَى لَوْلاَ شُمُوسَ الْغُرَرِ
مَالَ نَجْمُ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى ***مُسْتَقِيمَ الْسَيْرِ سَعد الْأَثَرِ
وَطَرَ مَا فِيهِ مِنْ عَيْب سَوَى***أَنَّهُ مَرَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ
حِينَ لَذ الْأَنَس شَيْئًا أَوْ كَمَا***هَجَمَ الصَبْحُ هُجُومَ الْعُرْسِ
غَارَتْ الْشُهُب بِنَا أَوْ رُبَّمَا ***أَثَّرَتْ فِينَا عُيُونِ الْنَرْجَسِ.[1]

وقال أيضا في السلطان الغني بالله، وبني النصر:

مُصْطَفَى الله سُمِيَ الْمُصْطَفَى***الْغَنِي بِالله عَنْ كُلِ أَحَدِ
مَنْ إِذَا مَا عَقَدَ الْعَهْدَ وَفَى***وَإِذَا مَا فَتَحَ الْخَطب عَقْدِ
مِنْ بَنِي قَيْس بِنْ سَعْد وَكَفَى ***حَيْثُ بَيْتُ الْنَصْر مَرْفُوعُ الْعَمَدِ
حَيْثُ بَيْتَ الْنَصْر مَحْمِي الْحمَى***وَجَنَى الْفضَل زكِي الْمُغْرسِ
وَالْهَوَى ظَلَ ظَلِيلُ خَيمَا***وَالْنَدَى هَبَّ إِلَى الْمُعْتَرِسِ
هَا كَهَا يَا سبْطَ أَنْصَارُ الْعُلاَ*** وَالذِي إِنْ عَثُرَ الْدَهْرُ أَقَال[2].

كما كان له أبيات شعرية، ألقاها على مسامع السلطان أبي عنان، في استنصاره على ملك قشتالة، لما سمعها السلطان فتأثر السلطان تأثر كبير وأعطاه ما سأله .

جاء فيها:

خَلِيفَةُ الله، سَاعد اَلْقَدَرِ *** عُلَاكَ مَا لاَحَ فِي الْدُجَى قَمَرُ

[1] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق،ج7، ص ص 13.11.

[2] المقري: نفسه، ص14

وَدَافَعْتُ عَنْكَ كَفَّ قُدْرَتَهُ*** مَا لَيْسَ يَسْتَطِيعُ دَفْعُهُ الْبَشَرُ
وَجْهَكَ فِي النَائِبَاتِ بَدْرُ الْدُجَى*** لَنَا وَفِي الْحَل كَفكَ الْمَطَرُ
وَالْنَاس طَرَا بِأَرْضِ الأَنْدَلُسِ***لَوْلَاكَ مَا أَوْطَنُوا وَلَا عَمَّرُوا
وَغَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ وَطَنُ***فَي غَيْرِ عَلْيَاكَ مَالَهُ وَطَرُ
وَمَنْ بِهِ مذ وَصَلَتْ حِبَالُهُمْ***مَا جَحَدُوا نِعْمَةَ وَلَا كَفَرُوا
وَقَدْ أَهْمَتْهُمْ نُفُوسُهُمْ***فَوَجَهُونِي إِلَيْكَ وَانْظُرُوا.[1]

قال أيضا:

وَلَمَّا رَأَتْ عَزْمِي حَثِيثًا صَفَحَ خَدِي***وَقَدْ رَابهُ صَبْرِي عَلَى مَوْقف الْبَيِّنِ
أَتَتْ بِصَحَاح الْجَوْهَرِي دُمُوعُهَا*** فَعَارَضَة مِنْ عَيْنِي بِمُخْتَصَرِ الْعَيْنِ[2]

رسائل بن الخطيب:

رسائله كثيرة ومتنوعة ولا يكفينا المقام لي نحيط بها ونذكرها ونفصلها تفصيلا.

– رسالة ابن الخطيب إلى السلطان أبو سالم: لقد بعث بن الخطيب رسالة من إنشائه يخاطب بها السلطان أبا سالم وهو بسلا حيث كان ابن الخطيب في المغرب بمنفاه، يهنئه بفتح تلمسان، وكان ذالك في يوم الخميس 17شعبان 761هـ فاستهل مقدمة رسالته بتمجيد وشكر والعرفان، وذكر محاسن السلطان وذكره بنعم الله عليه، وفضله هو على الناس والعامة، وقوته وسطوته، فكانت اللغة الذي كتب بها ابن الخطيب رسالته لغة قوية متينة بليغة، تدل على مدى تحكم ابن الخطيب بلغتة وتفننه بعبارتها و ألفاضها، وراح يذكر السلطان بفضله من حين إلى أخر، ويبارك له نصره وفتحه لتلمسان حيث قال له: "فتح تلمسان الذي قلد المنابر عقود الابتهاج ووهب الإسلام منيحة النصر غنية عن الانتهاج" وقال كذالك في نص رسالته:" مولاي: هذه تلمسان قد طاعت، وأخبار الفتح على ولدك الحبيب إليك قد شاعت، والأمم إلى هنائه قد تداعت، وعدوك وعدوه قد شردته المخافة". وختم رسالته بتودد والعرفان بالجميل وطاعة لسلطان،فقال "أطاع لساني في مديحك إحساني".[3]

---

[1] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص ص 441 442.

[2] المكناسي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس**، د ط، دار المنصورة لطباعة والوراقة الرباط، 1973، ص309.

[3] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص ص 37 40.

– رسالة ابن الخطيب يرحب ويهلل بصديقه ابن خلدون إلى الأندلس:

كان مبيت ابن خلدون بقرب من غرناطة، حين وفاه كتاب ابن الخطيب يهنئه بقدومه ويؤنسه،جاء فيه أبيات شعرية ذكرناها مع أشعار ابن الخطيب في ما سبق، وتضمن نص كتابه الفرح والبهجة والسرور ،بمقدم ابن خلدون إلى الأندلس، فقد كتب ابن الخطيب رسالته بأجود الكلمات والمعاني، وأحر التهاني والمدح وترحيب وتسهيل. استهل نص رسالته بالقسم والحلفان بالله، لتأكيد كلامه وصدق معناه ومشاعره و نوواياه، حيث قال:" أقسمت بمن حجت قريش لبيته وقبر صرفت أزمة الأحياء لميته."

وقال أيضا:" وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية، منتهى الطيبة، وملتقى للسعود غير البطية،وتهني الآمال الوثيرة الوطية. فما شئت من نفوس عاطشة إلى ريك، متجملة بزيك" كل هذه الصفات والميزات خصها ابن الخطيب لصديقه ابن خلدون، وتدل على غبطته وفرحه الشديد بلقياه.[1]

كتب ابن الخطيب رسالة لابن خلدون، بعد أن أخذ الإذن باستقبال أهله في الأندلس فرد إليه ابن الخطيب برسالة من أجود ما خطته أنامله، مليئة بمشاعر والإحساس، و الحب،والإجلال، والاحترام، حيث استهل رسالته بكلمة سيدي، هنا يبرز مظهر الحب والاحترام،المتبادل بين القطبين، قال:" سيدي قدمت بطير الميامين، على البلد الأمين واستضفت الرفاء إلى البنين، ومتعت بطول السنين. وصلتني البراءة المعربة عن كثب اللقاء،ودنو المزار، وذهب البعد،وقرب الدار." وقال أيضا:" ويصل الأهل بعده إلى المحل الذي هيأته السعادة لاستقرارهم و اختيارهم."[2]إن دل هذا على شيء إنما يدل على المحبة والاحترام الذي يكنه كل واحد منهم إلى الأخر.

[1] ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، المصدر السابق، ص84.

[2] ابن خلدون: نفسه، ص90.

الفصل الثالث

ابن الخطيب السياسي

المبحث الأول: اعتلاء ابن الخطيب السياسة

المطلب الأول: دخول ابن الخطيب معترك السياسة

المطلب الثاني: الانقلاب في عهد الغني بالله

المبحث الثاني: ابن الخطيب بين المغرب والأندلس

المطلب الأول: ابن الخطيب في المغرب

المطلب الثاني: عودته إلى الأندلس

المطلب الثالث: علاقته بابن خلدون

المبحث الأول:اعتلاء ابن الخطيب السياسة

المطلب الأول: دخول ابن الخطيب معترك السياسة

لم يكن من الغريب أن تراود السياسة روح ابن الخطيب،كيف لا وهو من هو الذي نشأ،واشتد عوده في بيئة علمية أكثر منها سياسية، ولقد سارت الرياح بما تشتهي سفينة ابن الخطيب، فسار في خطى حثيثة وثابة في تحقيق غايته، فما أن استشهد أبوه في معركة الطريف، المشهورة سنة 741هـ 1340م. حتى سنحت له الفرصة وفتح أمامه باب بلاط الحكم، ووضع قدمه في عتبة باب القصر، وراح يرسخ وجوده فيه، وخلف أبيه في خدمة السلطان، فبزغ نجم جديد في سماء غرناطة وزيرا، وشاعرا، وأديبا، لا يجارى في علمه قال في ذالك ابن الخطيب:"وخلفني عالي الدرجة،شهير الخطة، مشمولا بالقبول، مكنون بالعناية[1]." وامتدح السلطان أبي الحجاج من ملوك بني الأحمر وملأ الدولة بمدحه، وانتشر في الآفاق قدماه، وبلغ مدحه له القاصي والداني، فرقاه السلطان إلى خدمته ووكله على ديوان الكتابة والإنشاء، مرؤوسا بأبي الحسن بن الجياب، الوزير الفذ والعالم الذي لا يختلف فيه اثنان،شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية،وكاتب السلطان بغرناطة أيام محمد المخلوع، انفرد ابن الجياب برياسة الكتاب والإنشاء إلى أن هلك بداء الطاعون الجارف الذي لم يبقي ولم يذر و أهلك البشر، سنة 749هـ، بعده رقي إلى رياسة ديوان الإنشاء ابن الخطيب ورتبة الوزارة[2]، وراح ابن الخطيب يتفانى في خدمة السلطان وإرضائه لتمكين حظوته عنده، وسعى في كسب ثقة السلطان وأبرز براعته في ذالك، حتى قربه السلطان منه مجلس وبسط عليه من فضله، فأصبح محل سر السلطان وكتابته، وذالك لروعة، ما دبج له من كتابات،سلطانية وتجلى حسن عمله من خلال سفراته، الذي قام بها مع ملوك النصارى والمغرب وكللت بنجاح[3] .

وتحدث ابن الخطيب عن تلك المكانة والحظوة في كتابه فقال:" فقلدني السلطان سره ولما يجتمع الشباب ويستكمل السن، معززة بالقيادة ورسم الوزارة، واستعملني في السفارة إلى الملوك، واستنابني بدار ملكه، ورمى إلي بخاتمه وسيفه، وئتمنني على صوان، حضرته

[1] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص442.

[2] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص441.

[3] ابن الخطيب: الإشارة إلى أدب الوزارة، المصدر السابق، ص14.

وبيت ماله وسجوف حرمه، ومعقل امتناعه[1]." فذكر ابن خلدون سبب تقريب السلطان لابن الخطيب، ورفع درجته وإسباغ نعمته عليه فقال: " صدر عنه غرائب من تراسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة[2]" ويقصد بها رسائل ابن الخطيب وأشعاره ونثره، التي حرره بقلمه على لسان السلطان إلى ملوك الأندلس والمغرب، ذكر منها الكثير في كتابه الريحانة وذكر منها المقري في كتابه نفح الطيب. ثم عاد ابن خلدون، وقال فيه:" وبلغ به المخالصة إلى حيث لم يبلغ بأحد من قبله"هذا دليل على مدى مكانته،لدى السلطان ورفعته، وتجلت هذه المكانة الرفيعة في خلف السلطان في سفارته، إلى الملك أبي الحسن المريني[3] في المغرب سنة 749هـ 1348م.

ثم قتل السلطان أبي الحجاج سنة755هـ عدا عليه بعض الزعانف، كما وصفهم ابن خلدون، وكانت هذه الحادثة في يوم عيد الفطر بالمسجد وهو يصلي فتحدث عنها ابن خلدون قائلا:" وطعنه فأشواه وفاض لوقته، وتعاورت سيوف الموالي المعلوجي هذا القاتل فمزقوه أشلاء[4]."و أخرج قاتله إلى الناس فقتلوه، وأحرق بنار ودفن أبي الحجاج في العشية من نفس يوم قتله، في مقبرة قصره، ضجيع والده. فرثاه ولده مختار قائلا:

الْعُمْرُ نَوْمٌ، وَالْمُنَى أَحْلَامُ *** مَاذَا عَسَى أَيَسْتَمِرُ مُقَامُ

وَإِذَا تَحَقَّقْنَا لِشَيءٍ بَدَأة *** فَلَهُ تَقْضِي الْعُقُولَ تَمَامُ

وَالْنَفْسَ تَجْمَحُ فِي مَدَى أَمَالِهَا ***رَكْضَا وَتَأْبَى ذَلِكَ الْأَيَامُ

مِنْ لَمْ يُصِبْ فِي نَفْسِهِ فَمَصَابُهُ ***بِحَبِيبِهِ نَفذة بِذَا الْأَحْكَامُ

بَعْدَ الشَبِيبَة كَبرة، وَرَاءَهَا ***هَرَم، وَمِنْ بَعْدِ الحَيَاة حَمَامُ.

وقال عنه لسان الدين ابن الخطيب:

غِبْتُ فَلَا عَيْنُ وَلاَ مَخْبَرُ ***وَلَا انتِظَارُ مَنْكَ مَرْقُوبُ

يَا يُوسُف أَنْتَ لَنَا يُوسُف*** وَكُلْنَا فِي الْحُزْنِ يَعْقُوبُ[5].

---

[1] ابن الخطيب:الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص443.

[2] ابن خلدون:العبر، المصدر السابق، ج7، ص441.

[3]أبي الحسن المريني: يكنى أبا زيان لقبه المتوكل، من أمراء دولة بني مرين، مات غرقا يوم الأحد 22ذي الحجة سنة767هـ وله 28سنة، ودفن بجامع قصره. إسماعيل ابن الأحمر: **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تح عبد الوهاب بن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط،1411هـ/1991م، ص32.

[4] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص441.

[5] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص81.

وسارت العادة والعرف بعد موته كما هو معتاد وجاء بابنه، وأقعدوه مكان أبيه وبايعه الناس على السمع والطاعة وكان هذه أول أيام السلطان الجديد محمد الخامس، أو كما هو معروف الغني بالله الملقب كذالك بالمخلوع في الإمارة فقرب إليه ابن الخطيب وضاعف حظوته وأعلى مجلسه، كما فعل والده[1].

أما الحاجب رضوان[2]كان هو الوزارة و جعل ابن الخطيب رديفا له، في أمره وقد أوكل له السلطان جملة من الأعمال ذكرها ابن الخطيب في كتابه الإحاطة، فقال: " قمت لأول الأمر بين يديه بالوظيفة التي أسندها إلي أبوه المولى رحمه الله، من الوقوف على رأسه والإمساك في التهاني، والمبايعة بيده، والكتابة والإنشاء، والعرض والجواب، والخلعة والمجالسة، جامعا بين خدمة القلم ولقب الوزارة، معزز الخطط برسم القيادة، مخصوص بنيابة عنه على كل ما اشتملت عليه القلعة، مطلق أمور الإيالة محكما في أشتاته تحكيم الأمانة، مطلق الجراية،ظاهر الجاه والنعمة، ثم تضاعف العز، وتأكد الرعي، وتمحص القرب، فنقلني من جلسة المواجهة إلى صف الوزارة وعاملني بما لا مزيد من العناية، وأحلني المحل الذي لا فوقه في الخصوصية[3]." ثم أرسله السلطان محمد الخامس في بداية عهده في الإمارة، سفيرا إلى السلطان أبي عنان[4] المريني ملك المغرب، يترأس وفد من رجال الأندلس وهو يعرب في رسالته إليه، عن أمله في تجديد أواصر المحبة والوصال، التي كانت بين أبيه وبين السلطان أبي عنان، ويستنصره ويطلب منه المدد على ملك قشتالة، فلما قدم المغرب ومثل بين يدي السلطان وكان ذالك في 28ذي القعدة 753هـ استقبلهم السلطان بأحسن الاستقبال ورحب بهم وأكرم مثواهم[5].

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق،ج2، ص22.

[2] الحاجب رضوان: قشتالي الأصل، شغل منصب الحاجب، في أيام الغني بالله، توفي في الانقلاب الذي قام به أخو السلطان الغني بالله ضده، في ليلة28رمضان760هـ. ابن الخطيب: الإحاطة،المصدر السابق، ج1، ص506.

[3] ابن الخطيب: نفسه، ج2، ص17.

[4]أبي عنان: هو المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، المكنى أبي عنان، ولد في 733هـ/1330م، بويع بتلمسان بعد موت أبيه، مات خنقا على يد وزيره، الحسن بن عمر الفودودي سنة 759هـ/1660م. إسماعيل ابن الأحمر: روضة النسرين، المصدر السابق، ص36.

[5] ابن الخطيب:الإحاطة، المصدر السابق،ج1،ص23.

استأذنه ابن الخطيب في تقديم شعر بين يدي نجواه، فأذن له فقال شعره:

خَلِيفَةُ الله، سَاعد اَلْقَدَرِ *** عُلَاكَ مَا لاَحَ فِي الْدُجَى قَمَرُ

وَدَافَعْتُ عَنْكَ كَفَّ قُدْرَتَهُ*** مَا لَيْسَ يَسْتَطِيعُ دَفْعُهُ الْبَشَرُ

وَجْهَكَ فِي النَائِبَاتِ بَدْرُ الْدُجَى*** لَنَا وَفِي الْحَل كَفكَ الْمَطَرُ

وَالْنَاس طَرَا بِأَرْضِ الأَنْدَلُسِ***لَوْلَاكَ مَا أَوْطَنُوا وَلَا عَمَّرُوا

وَغَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ وَطَنُ***فَي غَيْرِ عَلْيَاكَ مَالَهُ وَطَرُ[1].

تأثرا السلطان لما سمع من ابن الخطيب في هذه الأبيات، ثم أذن له بالجلوس وقال له قبل أن يجلس، ما ترجع إليهم إلا بجميع مطالبهم وأعطاه سؤله، وأغدقه بالود والإحسان ويقول ابن خلدون عن ذالك "قال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف[2] وكان معه، في ذالك الوفد لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا" ويقصد به ابن الخطيب وإن دل هذا عن شيء إنما يدل على مدى حكمة، وفطنة، ابن الخطيب ومدى تأثيره وبلاغ حجته وتمكنه من الأدب والشعر وقوة مناظرته[3].

ولما نجحت هذه السفارة ضفر ابن الخطيب مكانة مرموقة، وسامية،لدى السلطان الغني بالله "إذ منحه ثقته كأبيه، وأسبغ عليه لقب ذي الوزارتين لجمعه بين الكتابة والوزارة"[4] فتحدث عن ذلك ابن الخطيب بنفسه بعدما هلك السلطان أبي الحجاج فقال:"ضاعف ولده حظوتي، وأعلى مجلسي وقصر المشورة على نصحي إلى أن كانت عليه الكائنات[5]"

المطلب الثاني: الانقلاب في عهد الغني بالله

قال ابن الخطيب في كتابه الإحاطة: "إلى أن كانت عليه الكائنات، فاقتدى في أخوه المتغلب على الأمر، فسجل الاختصاص، وعقد القلادة، ثم حمله أهل الشحناء من أعوان ثورته على القبض على ابن الخطيب فكان ذلك " كان هذا الانقلاب الذي حدث في غرناطة

---

[1] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص99.

[2]القاضي القاسم الشريف: هو أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني(760.697هـ) السبتي، من الشعراء والقضاة الفضلاء، ولي عدة مناصب في دولة بني النصر، وتولى خطة القضاء والكتابة، توفي في غرناطة وهو على قضائها.إسماعيل بن الأحمر، **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**، تح محمد رضوان الدرية، ط1، دار الثقافة لطبع والنشر وتوزيع بيروت 1967، ص231.

[3] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق،ج7، ص442.

[4] ابن الخطيب: الإشارة إلى أدب الوزارة، المصدر السابق، ص15.

[5] ابن الخطيب:الإحاطة،المصدر السابق،ج4،ص443.

سنة 760هـ، وانتهى بفقدان الغني بالله ملكه، وفراره إلى واد آش[1] ومنه إلى المغرب وقتل أبي النعيم رضوان، والقبض على ابن الخطيب واستعماله في الوزارة وعند اكتشاف نواياه الحقيقة زجوا به في سجن وصادروا أملاكه[2] إلى أن جاءه الفرج على يد السلطان المريني، وكان قد مضت 5 سنوات على تربع الغني بالله على ملك أبيه، "ووقعت الفتنة التي أبعدته على كرسي الحكم، ومفاد ذلك هو أن أبا الحجاج يوسف الأول كان قد رشح للأمر من بعده ابنه إسماعيل ثم عدل عنه فرشح ابنه محمد مكانه" فلما تم الأمر إلى محمد حجب أخاه إسماعيل ومنعه من الظهور أمام العامة ومعه أمه وإخوته منها، وكانت أمه قد ملكت قسم من مال زوجها أبي الحجاج فأخذت تسعى لولدها فجعلت تواصل زيارة ابنتها زوجة أبي محمد بن إسماعيل ابن عم السلطان، وتحرضه على التوسط لخلع الغني بالله، وتمليك ولدها.

وكان محمد بن إسماعيل قد ألغيت مهامه في المملكة، ليحل مكانه الحاجب رضوان ورديفه ابن الخطيب، هذا أجج العداوة بينهم فجمع عددا من شيعته ومناصريه واغتنموا فرصة غياب السلطان عن الحمراء، ونزوله جنة العريف المجاورة، لراحة والتنزه فتسلق المتمردين أسوار القصر ليلا وقتلوا الحراس واقتحموا الغرف وسط صياح وأصوات الطبول وقتلوا الحاجب رضوان ونهبوا ما عنده من متاع ومال، ثم أخرجوا، الأمير إسماعيل أخ السلطان وأعلنوا بيعته.

فبلغت أصوات الهتاف والصياح السلطان فراعه ذالك وهم بدخول الحمراء فوجدها محتلة، فرجع أدراجه واعتلى صهوة جواده وقصد مدينة وادي آش، حيث التف حوله أهلها فأقام بينهم أيام، أما وزيره ابن الخطيب فقد أعتقل واحتجزت دوره ونهبت، ولما بلغ الخبر مسامع السلطان أبي سالم سلطان المغرب، غضب مما حدث في غرناطة من خلع السلطان وأسر وزيره وقتل حاجبه.

---

[1] وادي آش: مدينة أندلسية قريبة من غرناطة، كبيرة حولها المياه، والأنهار، كثيرة التوت والأعناب، لها باب شرقي على النهر، وغربي على خندق وقبتها مشرفة عليها. الحميري: المصدر السابق، روض المعطار، ص192. ابن الخطيب:الإحاطة، المصدر السابق،ج4، ص443.

[2] ابن الخطيب:الإشارة إلى أدب الوزارة، المصدر السابق، ص15.

فبعث أبي سالم يطلب من "إسماعيل المتغلب على غرناطة أن يسمح لأخيه المخلوع بالانتقال إلى المغرب، وأن يطلق سراح الوزير ابن الخطيب ليلتحق به"[1] فأجابه السلطان إسماعيل لما طلبه منه السلطان أبي سالم[2].

ويروي ابن خلدون هذه الحادثة بلسانه فيقول عنها:" لما هلك السلطان أبي حجاج وخلفه ابنه محمد الغني بالله، واستبد عليه رضوان مولى أبيه وكان لمحمد أخ هو إسماعيل وكان أصغر من محمد ورشح لخلافة أبيه ثم عدل وحجب إسماعيل ببعض قصورهم، وقد كان له صهر من ابن عمه محمد ابن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد، في شقيقته فكان يدعوه سرا إلى القيام بانقلاب، ويحرضه متى سنحت له الفرصة في الدولة، وخرج السلطان إلى منتزهه برياضه فصعد السور الحمراء 27رمضان 760هـ، في مجموعة جمعهم لثورته. وعمد إلى الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار فقتله بين حرمه وبناته، ودخل إسماعيل القصر وأعلنوا بيعته وقرعة طبولهم في سور الحمراء، وفر السلطان من مكانه إلى وادي آش."[3] وهنا ابن خلدون ذكر تاريخ الحادثة في 27 رمضان، خالف لما جاء على لسان ابن الخطيب حيث قال أن هذه الحادثة وقعة في 28 رمضان، لكن نرجح كلام ابن الخطيب لأنه عايش الحدث، وممكن أن الناقل عن ابن خلدون هو من اخطأ في اليوم.

هنا يمكن أن نستنتج مما من هذه الحادثة:

أن ابن الخطيب ليلة القيام بالانقلاب على السلطان، كان هو الأخر منتقلا عن إقامته المجاورة لقصر الحمراء إلى جنته التي فيها قصره، الكائن بالشريعة القديمة شرقي حضرة غرناطة. ولو كان مجاور لقصر الحمراء ما كتبت له السلامة والنجاة، ولكان مصيره القتل كما حدث لصاحبه الحاجب رضوان.

ولما ألقي عليه القبض عاملوه معاملة حسنة واستقر في منصبه الذي كان عليه، وقلد المهام الذي نيطة إليه على عهد الملك محمد المخلوع، وسرعان ما سحبت منه هذه المهام والامتيازات، لدواعي الريبة ورجما بظنون التي رشت سهامها، وبرت سنانها، حاشية السلطان

---

[1] يوسف شكري فرحات: غرناطة في ضل بني الأحمر، ط1، دار الجليل، 1413هـ 1993م، ص 38.

[2] أبي سالم: هو إبراهيم بن أمير المسلمين،أبي الحسن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق،يكنى أبا سالم ولد سنة 735هـ، وبويع في منتصف شعبان760هـ، دامت إمارته سنتين وثلاثة أشهر، توفي في 20 ذي القعدة عام 762هـ .المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص22. ابن الأحمر: روضة النسرين، المصدر السابق، ص30.

[3] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص405.

الجديد، فاتهمه بتواطئه مع السلطان المخلوع من أجل استعادة ملكه مرة ثانية وأعتقل وفرضت عليه الإقامة الجبرية، والسلطان المخلوع لا يزال في مدينة آش، وحجزت أموال ابن الخطيب وسلبت ممتلكاته وسيقت إلى الأسواق وبيعت بأبخس الأثمان وكذلك فعل بأملاك أقربائه وشيعته[1].

المبحث الثاني: ابن الخطيب بين المغرب والأندلس أيام النكبة

المطلب الأول: ابن الخطيب في المغرب

واستمر الحال كما هو عليه في وادي آش والسلطان الغني بالله معتصم بها، وأهلها يحفون به إلى أن جاء الفرج، ولاح الأمل في الأفق في يوم عيد الأضحى من عام الانقلاب نفسه، وصل رسول ملك المغرب "مستنزلا منها ومستدعيا إلى حضرته لما عجز عن إمساكها وراسل ملك الروم. فلم يجد عنده من معول فانصرف ثاني يوم النحر المذكور، وتبعه الجمع الوافر، من أهل المدينة خيلا ورجلا إلى مربلة من ساحل إجازته، وكان وصوله إلى مدينة فاس مصحوبا من أهل البر، والكرامة بما لا مزيد عليه في 6 من شهر محرم761هـ، وركب السلطان إلى لقائه ونزل إليه عندما سلم عليه وبالغ في الحفاية به"[2].

وشاءت الأقدار أنه لا يدخل السلطان الغني بالله مدينة فاس[3]، إلا برفقة وزيره ابن الخطيب الذي نجا من براثين النكبة.

وقدم ابن الخطيب بين يدي نجواه قصيدة التي مدح فيها السلطان أبي سالم ويستحثه على مناصرته وهي قصيدة طويلة نذكر منها:

سَلَا هَلْ لَدَيْهَا مِنْ مَخْبَرَة ذكر *** وَهَلْ أَعْشَب الْوَادِي وَنَمْ بِهِ الزَهْرُ
وَهَلْ بَاكر الْوَسْمِي دَارَا عَلَى الْوَا ***عفت أَيُّهَا إِلَّا الْتَوَهُم وَالْذِكْرُ
بِلَادِي الْتِي عَاطَيت مَشْمُولَة الْهَوَى*** بِأَكْنَافِهَا وَالْعَيْشُ فِينَا مُخضَّرُ
نَبَت بِي لَا عَنْ جَفْوَة وَمَلَامَة *** وَلَا نَسَخَ الْوَصْلُ الْهَنِي بِهَا هَجْرُ

---

[1] رابح عبد الله المغراوي: **ابن الخطيب الأندلسي من الانقلاب إلى الاغتيال(760هـ . 776هـ/1359. 1374م)**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم تاريخ جامعة محمد الأول الملكة المغربية، الحولية السادس والعشرين، 1427هـ/2002م ص20.

[2] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص196.

[3] مدينة فاس: مدينة بالمغرب أسسها الأمير إدريس الأول 172هـ/789م على أن المؤسس الحقيقي لها ابنه إدريس الثاني. كانت عاصمة المرنين. ابن الخطيب: **خطرة الطيف رحلة في المغرب والأندلس 1347. 1362هـ**، تح، مختار العبادي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص106.

وَلَكِنَّهَا الْدُنْيَا قَلِيل مَتَاعُهَا***وَلِذَاتِهَا دَأْبَا تَزُورُ وَتَزُورُ

فَمَنْ لِي بِقُرْبِ الْعَهْد مِنَا وَدَنَّنَا***مَدَى طَالَ حَتَى يَوْمَهُ عِنْدَنَا شَهْرُ[1]

إلى أن يقول:

قَصَدْنَاكَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَلَى الْنَوَى*** لِتَنْصِفَنَا مِمَّا جَنَى عَبْدَكَ الْدَهْرُ

خِلاَفَتُكَ الْعُظْمَى وَمَنْ لَمْ يَدْنُ بِهَا*** فَإِيمَانُهُ لَغْوُ وَعَرفانه ذِكْرُ

دَعَتْكَ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينُ وَأَخْلَصْتَ *** وَقَدْ طَابَ مِنْهَا الْسِرُ لله وَالْجَهْرُ

وَمَثْلُكَ مَنْ يَرْعَى الْدَخِيل وَمَنْ دَعَا*** بيالمرين جَاءَهُ الْعِزُ وَالْنَصْرُ

وَأَسَدُ رِجَالٌ مِنْ مَرِينَ وَعِزَةَ***عَمَائِمُهَا بِيضٌ وَأَسَالَهَا سَمَرُ

هَمُ الَقَوْمِ أَنْ هَبُوا لِكَشف مُلِمَة***فَلَا الْمُلْتَقَى صَعْبُ وَلَا الْمُرْتَضَى وَعْرُ

وَأَنْتَ بِتَتْمِيمِ الْصَنَائِعَ كَافِلُ***إِلَى أَنْ يَعُودَ الْجَاهَ وَالْعِزُ وَالْوَافِرُ

جَزَاكَ الْذِي أَسْنَى مَقَامَكَ رَحْمَة*** يَفُكُ بِهَا عَان وَيُنْعِشُ مُضْطَرُ[2].

ومنح السلطان أبي سالم السلطان الغني بالله ووزيره ابن الخطيب الأمن والأمان وأرخى عليهم سدل نعمته وفضله، وشهد ابن خلدون الحفل بصفته من أكابر رجال البلاط فيصف لنا ذلك الموقف قائلا: " إن ابن الخطيب، استولى على سامعيه فأبكاهم تأثرا[3]" كما جاء أيضا على لسان ابن خلدون، وما خطته أنامله وهو يصف لنا الأحداث التي توالدت، عقب الانقلاب الذي وقع لسلطان المخلوع، وتحصنه في وادي آش والتفاف الأهالي حوله ومحاولة الغني بالله لاسترجاع ملكه في أقرب وقت قال:" وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك أبائه بالمغرب، وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم في الأندلس. واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه، وكان بينه وبين ابن الخطيب ابن مرزوق[4] مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس كما مر.

---

[1] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ص196.

[2] محمد عبده حتامله: **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة**، طباعة مطابع الدستور التجارية، عمان الأردن،1420 هـ/2000م، ص586.

[3] ابن الخطيب: الإشارة إلى أدب الوزارة، المصدر السابق، ص16.

[4]محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق المجيسي: من أهل تلمسان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين، كان شاعر فحل، وشغل منصب الوزارة في دولة بني مرين، ومن أحب أصدقاء ابن الخطيب، ومهد تمهيدا لإبن الخطيب في المغرب. ابن الخطيب:الإحاطة، المصدر السابق، ج3، ص103.

وكان غالب على هواء السلطان أبي سالم فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع، من وادي آش يدعوه للمغرب. فقبل ذالك منه. وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه، و بعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني وحمله على ذلك، الشفاعة إلى وادي آش. وسار في ركاب السلطان وقدموا على السلطان أبي سالم، فاهتزا لقدوم ابن الأحمر، وركب في الموكب لتلقيه، وأجلسه إزاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته الذي ذكرنها يستصرخ السلطان لنصره، فوعده وقد كان يوم مشهودا ثم أكرم مثواه وأرغد نزله ووفر أرزاق القادمين في ركابه وانتصر به، وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية و الأقطار ثم استأنس وستأذن السلطان في التحول على جهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها فأذن له وكتب إلى العمال بإتحافه، فتبادروا في ذالك وحصل منه حظ وعندما مر بسلا دخل مقبرة الملوك بشالة، ووقف على قبر السلطان أبي الحسن وأنشده قصيدة يرثيه ويستثير به" استرجاع ضياعه في غرناطة جاء في مطلعها:

إِنْ بَانَ مَنْزِلَهُ وَشَطت دَارَهُ*** قَامة مَقَام عَيَانه أَخْبَارَهُ

قَسمَ زَمَانكَ عَبرةُ أَوْ غَبرَةُ***هَذَا ثَرَاهُ وَهَذِهِ آثَارَهُ[1]

" فكتب السلطان أبو سالم في ذالك إلى أهل الأندلس بالشفاعة، فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة."[2]

ولقد طاب لابن الخطيب العيش في المغرب في رعاية السلطان أبي سالم، الذي أقطعه الأراضي، ورتب له الرواتب وكان استقرار ابن الخطيب في سلا، حوالي ثلاثة أعوام من760هـ إلى 763هـ اقتنى خلالها ابن الخطيب الضياع والأموال، "ولكن لم يخلد إلى الراحة والكسل طيلة أيام نفيه، كما فعل غيره فطاف مدن المغرب دارسا وباحثا وواقفا، على أطلال وآثار سلفهم، ولقد سجل كل ما رأته عيناه، وسمعته أذناه في جميع هذه الرحلات"[3]وانتهى به المطاف إلى مدينة سلا،حيث رابط بضاحية مقبرة شالة، قرب أضرحة ملوك بني مرين[4].وتمر الأيام مر السحاب وتطوى طي الكتاب وتشاء الأقدار، أن يصاب

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، العبر، ج7، ص443.

[2] ابن خلدون: نفسه، ص443.

[3]مختار العبادي: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983، ص ص 6 7.

[4] ابن الخطيب: الإشارة إلى أدب الوزارة، المصدر السابق، ص17.

ابن الخطيب في أقرب الناس وأعز الناس إليه فتموت الزوجة وأم الولد، والمعينة على النوائب، ورفيقة الدرب في السراء والضراء، التي كانت تقيم معه في سلا.

واشتد ألمه وغمرته موجة من الحزن والتصوف، ظهرت آثارها في نظمه ونثره حيث قال: " وفي السادس لذي القعدة من عام 762هـ، طرقني ما كدر شربي ونغص عيشي من وفاة أم الولد عن أصاغر زغب الحواصل بين ذكران وإناث في بلد الغربة وتحت مرادق الوحشة، ودون أذيال النكبة، تجلت عليها حسرتي واشتد جزعي، وأشفيت لعظم حزني، إذ كانت واحدة نساء زمانها جزالة وصبرا ومكارم أخلاق حازت بذلك مزية الشهرة حيث حلت من القطرين، فدفنتها بالبستان المتصل بالدار بمدينة سلا[1]"

– وقال فيها أبيات من الشعر:

رَوْعَ بَالِي وَهَاج بلْبَالِي*** وَسَامَنِي التكِل بَعْدَ إِقْبَال
ذَخِيرَتِي حِينَ خَانَنِي زَمَانِي*** وَعُدْتِي فِي اشْتِدَادِ أَهْوَالِي
حَفَرْتُ فِي دَارِي الْضَرِيحِ لَهَا ***تَعَلَا بِالْمُحَال فِي الْحَال
وَغَبسطة تَوَهُم الْمُقَام مَعِي *** وَكَيْفَ لِي بَعْدَهَا مُهَال
سَقَا الْحَيَاء قَبْرَكَ الْغَرِيبِ وَلَا*** زَالَ مُنَاخًا لِكُلِ هطَال
قَدْ كُنْتَ مَالِي لَمَّا أَقْتَضَي زَمَانِي***ذَهَاب مَالِي وَكُنْتَ أَمَالِي
أَمَّا وَقَدْ غَابَ فِي تُرَاب سلَا *** وَجْهَكَ عَنِي فَلَسْتَ بِالْسَالِي
وَالله حُزْنِي لاَ كَانَ بَعْد عَلَي ***ذَاكَ الشَبَابُ الْجَدِيد بِالبَالِي
فَانْتَظِرِينِي فَالشَوْقُ يَقْلِقُنِي***وَيَقْتَضِي سُرْعَتِي وَاعْجَالِي
وَمَهْدِي لِي لَدَيْكَ مُضْطَجِعًا***فَعَنْ قَرِيب يَتَكَون تِرْحَالِي[2]

غير أن هذه الكارثة التي حلت بابن الخطيب وحزن فيها حزن شديد، لم تحد من حيويته وقدرته على التأليف إذ استمر في منفاه، يقرأ ويكتب في شتى نواحي العلوم والفنون ومن بين هذه المؤلفات التي حررها ابن الخطيب في منفاه نذكر منها ولو سبق ذكرها :

معيار الأخيار في ذكر المعاهد والديار

[1] مدينة سلا: مدينة رومانية قديمة على ساحل المحيط الأطلنطي بأقصى المغرب، ويفصلها عن مدينة الرباط جنوبا نهر أبو الرقراق، أقام فيها ابن الخطيب أيام نفيه وكانت من أحب المدن إليه. ابن الخطيب: خطرة الطيف، المصدر السابق، ص57.

[2] مختار العبادي: المرجع السابق، ص35.

نفاضة الجراب في علالة الاغتراب

اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية

الحلل المرقومة في اللمع المنظومة

رقم الحلل في نظم الدول

كناسة الدكان بعد انتقال السكان

رسائل في فنون مختلفة أكثرها أشعار[1]

المطلب الثاني: عودة ابن الخطيب

بينما كان ابن الخطيب في سلا مختلي بنفسه في جو يخيم عليه السكينة والهدوء وهو منهمك في التأليف والكتابة ويتتبع الأخبار عن بعد، وكان السلطان الغني بالله في فاس يترقب عودته إلى كرسي عرشه معتمدا في ذلك على مساعدة ملك قشتالة، معتمدا على اتفاق بينهما، إلا أن هذا الاتفاق لم تنفذه قشتالة ولم تعمل به، وملك قشتالة سلما للواقع وراح يطلب ود ملك غرناطة إسماعيل بن الأحمر.

وفي هذه الأثناء تم انقلاب في مدينة فاس، ترتب عليه مصرع السلطان أبي سالم في ذي القعدة762هـ وتقلد زمام الأمور صاحب الانقلاب الوزير عمر بن عبد الله، الذي قدم يد المساعدة للغني بالله، وأعانه على أمره وأسنده في محنته إلى أن استرجع كرسي ملكه،حيث سنحت الفرصة وواتت الظروف، وذلك باندلاع ثورة جديدة وانقلاب آخر في غرناطة،لقي فيه السلطان إسماعيل مصرعه على يد الرئيس أبي سعيد، الذي لاذ بالفرار إلى قشتالة، عقب عودة الغني بالله إلى الأندلس واستيلائه، على مالقة[2] ثم منها إلى غرناطة "موطن الأجداد وقرة الأعين، وملتقى الأحباب و الأصحاب، واستعادة ما أخذ بالغدر والحيلة، إلى من هو أهل له ويستحقه من أهل الفضيلة، في سنة763هـ [3]وأرسل سلطان غرناطة الجديد الغني بالله في طلب وزيره، ابن الخطيب لقدوم إلى دار ملكه ليتقلد منصبه السابق، فاستجاب ابن

---

[1] ابن الخطيب: معيار الاختيار،المصدر السابق، ص16. مختار العبادي: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، المرجع السابق، ص 7.

[2]مدينة مالقة: مدينة ساحلية معروفة، بجنوب شرق الأندلس أسسها الفينيقيون عام 1200ق م، وأسموها مالقة وعنها المملح، وذالك نسبة إلى مستودع الأسماك المملحة فيها، مشتهرة بزراعة الفواكه، لاسيما التين والرمان وصناعة الفخار وتعد العاصمة الثانية بعد غرناطة في أيام بني الأحمر. ابن الخطيب: المصدر السابق، خطرة الطيف، ص74.

[3] ابن الخطيب:معيار الاختيار، المصدر السابق، ص18. ابن الخطيب: الإشارة إلى أدب الوزارة، المصدر السابق، ص18.

الخطيب لطلب سلطانه وجاز البحر برفقة أسرة السلطان وأسرته، ودخل قصر الملك من جديد، وإذا به يتفاجئ بوجود منافسون له في منصبه في قصر الحكم، وكان ابن الخطيب من السياسيين المستبدين الذين يحبون الإنفراد بسلطان ، ولذلك كان بارعا في إقصاء منافسيه على الاستقلال بالسلطان، شأنه في ذلك شأن كبار الموظفين الذين يعملون في الخفاء[1] ضد كل عبقرية تلمع، أو مقدرة تظهر، فهم لأنفسهم ولو حطموا في سبيل ذلك العبقريات، وداسوا القدرات، لا يحبون أن يشاركهم في هواء السلطان إنسان.

فكان على رأس منافسيه في البلاط شيخ الغزاة عثمان بن يحيى، صاحب الفضل على سلطان في استرجاع عرشه، فنشب بينهم خلاف فحقد كل منهما على الأخر، ولكن ابن الخطيب، كان سياسي محنك ومخضرم، وكان أشد مراسا بأساليب الكيد والدس، فتغلب على خصمه، فزين لسلطان خطورة نفوذ عثمان ويخيفه من غدره وغدر أشياعه فستجاب السلطان لنصح ابن الخطيب[2]، وأعطاه مسامعه فنكب السلطان بعثمان، وأباه وإخوته في رمضان عام 764هـ، واستعاد ابن الخطيب كامل سلطاته، دون مناوئ أو منافس[3] وغلب على هواء السلطان "ودفع إليه تدبير الدولة، وخلطه بينه بندمائه وأهل خلوته، وانفرد ابن الخطيب، بالحل والعقد وانصرفت إليه الوجوه وعلقت به الآمال، وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان، وحاشيته" [4]. وبزغ من جديد نجم ابن الخطيب بعد أفوله لي يلمع ويسطع فوق سماء غرناطة ويزينها مثل البدر في ليلة الحالكة الظلام.

المطلب الثالث: علاقته بابن خلدون

من أزها قرون فترة الوسيط وأكثرها نصعا وبريقا القرن الثامن هجري، حيث عاصره رجلين عظيمين تجمع بينهما جملة من المشابهات القوية، سواء فيما خاضه كل منهما في حياة مثيرة بالأحداث و الوقائع، أو ما خلفه كل منهما من تأليف وأفكار، لا تزال تنير طريق الباحثين ودليل الحيران، في مختلف المجالات هذان الرجلان، هما ابن خلدون وبن الخطيب ولقد عاش هذان القطبان، في عصر واحد فملأ الدنيا بذكرهم ولهجة بهما ألسنة العامة والخاصة ما بين العدوتين وقد خاض كلاهما غمار السياسة وتقلب في حياة القصور، وتبوأ

[1] ابن الخطيب: روضة التعريف بالحب الشريف، المصدر السابق، ص24.

[2] ابن الخطيب:الإشارة إلى أدب الوزارة، المصدر السابق، ص18.ابن الخطيب: معيار الاختيار،المصدر السابق، ص17.

[3] ابن الخطيب: روضة التعريف بالحب الشريف، المصدر السابق،ص24.

[4] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص101.

ذروة السلطان، وذاقا محنة الاعتقال والنفي فحياتهما متشابهة إلى حد كبير، وشاءت الأقدار أن يلتقيا وتربط بينهم الصداقة بحبل متين، ويعم بينهم الاحترام والتقدير، ورغم الغيرة التي تخللت علاقتهما وعكرة صفاء صداقتهما إلا أن الاحترام بقى قائم إلى أخر لحظة بينهما.[1]

1- التعريف بابن خلدون

لقد ولد العلامة ابن خلدون سنة 732هـ بتونس[2]، "الأشبيلي الأصل الإمام ولي الدين أبو زيد قاضي القضاة العلامة الحافظ المؤرخ. وقال بعضهم وخلدون بفتح الخاء المعجمة وآخر نون، حفظ القرآن والشطابي، ومختصر ابن الحاجب الفرعي وتفقه بأبي عبد الله الجياني وأبي القاسم بن العصير، قرأ عليه التهذيب وعليه تفقه وحفظ المعلقات، والحماسة وشعر حبيب وقطعة من شعر المتنبي وسقط الزند، وأخذ العربية عن والده وغيره وعبد المهيمن الحضرمي، وتولى العلامة عن صاحب تونس ثم توجه إلى فاس وأعتقل عند سلطانها وقدم غرناطة وعظمه سلطانه، وتوجه إلى بجاية ثم إلى تونس ثم رحل إلى مصر فوله سلطانها برقوق، قضاء المالكية وتصدر القراء، بالجامع الأزهر وصنف تاريخه الكبير في 7 مجلدات، ديوان العبر، والكثير من أخذ عنه الإمام ابن مرزوق الحفيد والشيخ البسيلي والبدر الدماميني والعلامة البساطي." وقال ابن حجر: "ولم يوجد في تاريخه مات قاضيا فجأة يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ثمان وثمانين عن ست وسبعين دون أشهر ودفن في مقبرة الصوفية خارج باب النصر."[3]

2-أول لقاء بين القطبين وأوجه التشابه بينهم

كان أول لقاء بين هذين القطبين هو حين وفد ابن الخطيب إلى المغرب في نكبته الأولى مع سلطانه الغني بالله المخلوع حين وقوع الانقلاب في غرناطة وأخذ منهم كل ما يملكون استقبلهم السلطان أبي سالم المريني، بحفاوة وبهاء، وقام ابن الخطيب بين يدي السلطان وألقى على مسامعهم قصيدته الشهيرة، قصدناك يا خير الملوك على النوى، وكان ابن خلدون وهو يومئذ من أكابر رجال الدولة، في بلاط فاس، شهد ذالك الحفل، ووصف لنا ذالك المشهد فقال: " إن ابن الخطيب استولى على مسامعه فأبكاهم تأثرا[4]"، هنا كان أول لقاء بين

---

[1] محمد عبد الله عنان: **أندلسيات**، د ط، مكتبة هيثم لعبيدي، د د، د س، ص59.

[2] محمد بن زين العابدين رستم: **بيوتات العلم والحديث في الأندلس**، ط1، دار ابن حزم 1430هـ/2009م، ص101.

[3] أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص252. عمار رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتاب العربي، د ط، مؤسسة الرسالة، ج2، ص 119.

[4] ابن الخطيب: الإشارة إلى أدب الوزارة، المصدر السابق، ص16.

هذين القطبين وكان كل منهما يسمع عن الأخر، ويود لقاءه حتى جمعة بينهما الحوادث ومنذ تلك اللحظة ربطة بينهم صداقة قوية رغم فارق السن، حيث كان ابن خلدون في ريعان شبابه، بينما كان صاحبه ابن الخطيب في طور الكهولة، وكانت أوجه الشبه بينهما كثيرة حتى أنهما يكاد يتطابقان.[1]

فكلهما كان أستاذ عصره في تفكير والكتابة، وكلهما دخل معترك السياسة فتنعم بنعيمها واكتوى بنارها، وكلاهما وزيرا مستبدا ومستشارا لأمراء عصره، ومحرضا لهم أو عليهم. "وشغل ابن خلدون في المغرب نفس المركز الذي كان يشغله ابن الخطيب في الأندلس واستأثر في المغرب بزعامة التفكير والكتابة"، كما تزعمها ابن الخطيب وستفرد بها في الأندلس، وترجم كل منهما للأخر، "وجمعة بينهما أواصر المحبة" وفرقة بينهما الغيرة وهواء النفس وحب الذات وغلبة عليهم غريزة الامتلاك والاستفراد، و كانت بينهم "رسائل كانت تحفة العصر في السجع والنثر والشعر"[2].

3- صداقة ابن خلدون وبن الخطيب

نستنتج صداقتهما وطيب علاقاتهما من خلال ما كتبه كل منهما على الأخر، حيث قال ابن خلدون عن كتابات ابن الخطيب:" إنه بلغ في الشعر وتراسيل لا يجارى فيها، وملأ الدولة بمدائحه، وانتشر في الآفاق قدماه[3]"، ثم يعود ويذكر بروعة وإبداع رسائله السلطانية ويقول عن ذلك:" صدر عنه غرائب من تراسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة [4]" واعترف كذالك ابن خلدون في موضع أخر بروعة كتبات ابن الخطيب فقال: "بأنه لم يستطع مساجلة ابن الخطيب في تراسيل والسجع، إذ لم يكن شأوه يلحق في ذالك"[5]، ولم يجد ابن خلدون عبارات تكفي لوصف ابن الخطيب، فعبس وبصر وقال: " كان الوزير ابن الخطيب آية، من آيات الله في النثر والنظم، والمعارف، والأدب، ولا يساجل مداه، ولا يهتدي فيها بمثل هداه[6]."، "و الحقيقة التي لا ريب فيها، أن ابن الخطيب يتفوق على ابن خلدون في أسلوبه البياني، سواء في الرسائل السلطانية أوفي كتابته التاريخية، من حيث قوة التعبير

[1] عبد الله عنان: أندلسيات، المرجع السابق، ص61.

[2] عبد الله عنان: المرجع السابق، ص61

[3] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص441

[4] ابن خلدون: نفسه، ص441.

[5] عبد الله عنان: أندلسيات، المرجع السابق، ص61.

[6] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص442.

وابراز المعاني، ومن حيث الأصالة، وضبط النفس والمشاعر"، ولا شك أن أسلوب ابن خلدون يعتبر من أرفع وأجود الأساليب لكي لا نبخسه حقه. ولقد ساد هذان القطبان ما بين المشرق والمغرب بكتبهم وكتباتهم، التي تسموا على جميع ما كتب، ولا يجاريهم فيها أحد من مؤرخين المسلمين.[1]

وفي المقابل أشاد ابن الخطيب بصديقه ابن خلدون كما فعل هو معه، حيث ترجم له ابن الخطيب وقال عنه: " جم الفضائل، باهر الخصال، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، وقور المجلس، عالي الهمة، عزوف عن الضيم، صعب المقاده، قوي الجأش، طامع لقنن الرياسة، خاطب للخط، متقدم في عدة فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث كثير الحفظ، صحيح التصور[2]." ووصف ابن الخطيب نثر ابن خلدون قائلا:" أما نثره وسلطانيته السجعية فخلج بلاغة، رياض فنون ومعادن إبداع، يفرغ عنها يراعه الجريء شبيهة البداءات بالخواتم، في ندوات الحروف وقرب العهد بحرية المدد، ونفوذ أمر القريحة[3]." وأكبر دليل على حسن علاقاتهم ظهر في أشعارهم ورسائلهم، وهي كثيرة منها: لما هما ابن خلدون بالقدوم للأندلس، ولما أصبح على مشارفها راسل السلطان ابن الأحمر، في ذالك فلقاه كتاب ابن الخطيب، يهنئه بقدومه ويؤنسه أبيات شعرية من أجمل وأجود ما خطته أنامل كاتب أو شاعر ولقد ذكرنها سابقا وجاء في مطلعها:

حَلَلْتَ حُلُولَ الغَيْثِ بِالبَلَدِ المَحَل ***عَلى الطَائِرِ المَيْمُونِ وَالرَحِبِ وَالسَّهْلِ

يَمِين بِمَنِ تَعْنُو الوُجُوهُ لِوَجْهِهِ *** مِنْ الشَيْخِ والطِفْلِ المُهَدإِ وَالكَهْلِ

لَقَدْ نَشَأْتَ عِنْدِي لِلُقْيَاكَ غِبْطَة*** تُنْسِي اِغْتِبَاطِي لِشَبِيبَة وَالأَهْلِ.

وَوِدِي لَا يَحْتَاجُ فِيهِ لِشَاهِد*** وَتَقْرِيرِي اَلْمَعْلُوم ضَرْبٌ مِنَ الجَهْلِ

وقال أيضا ترحيبا به " أقسمت بمن حجت قريش لبيته، وقبر صرفت أزمة الأحياء لميته، ونور ضربت الأمثال بمشكاته، وزيتته لو خيرت أيها الحبيب الذي زيارته الأمنية السنية، والعارفة الوارفة، واللطيفة المطيفة، بين رجع الشباب يقطر ماء، ويرف نماء، ويغازل عيون الكواكب، فضلا عن الكواعب، إشارة وإيماء، بحيث لا الوخط يلم بسياج لمته، أو يقدح ذباله في ظلمته، أو يقوم حواريه في ملته، من الأحباش وأمته، وزمانه روح وراح، ومغذى

[1] عبد الله عنان: أندلسيات، المرجع السابق، ص61.

[2] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج3، ص498.

[3] ابن الخطيب: نفسه، ص508.

في النعيم ومراح، وقصف صراح، ورزقي وجراح، و انتخاب واقتراح، وصدور ما بها إلا الانشراح، ومسرات تردفها أفراح، وبين قدومك خليع الرسن ممتعا . الحمد الله . باليقظة والوسن[1]."

كلمات في منتهى الروعة كلها تدل على الحب والشوق وترحيب لقدوم ابن خلدون وكل هذا ولازال الكثير والكثير على ما يدل على مدى ترابطهم وصدقتهم.

الخلاف بين ابن الخطيب وابن خلدون

حين جاء ابن خلدون إلى الأندلس واستقر بها في ربيع الأول 764هـ ، وأغدق عليه السلطان الغني بالله المنح والرعاية، وقربه منه مجلس، وبعثه سفيرا إلى ملك قشتالة، وهنا دخل بينه وبين صديقه ابن الخطيب هادم المحبة، ومفرق الشمل، ومفكك الجماعة، ومورث العداء والخلاف والشقاق، ألا وهو الغيرة والحسد، فأحس ابن خلدون بانقباض السلطان عنه وشعر بأن صديقه القديم له يدا في هذا التحول، وهنا لم يجد ابن خلدون بدا، من الرحيل وكانت وجهته بجاية، ورحل ولم يخبر السلطان الغني بالله عن ما في نفسه من ابن الخطيب وأسرها في نفسه ابن خلدون، حافظا منه على مودته، وكتب له السلطان مرسوم تشيعيه[2] من إملاء ابن الخطيب، ورغم هذا كله إلا أن المودة بقيت قائمة، وحين فرا ابن الخطيب إلى المغرب، مرة ثانية كتب كتابه إلى ابن خلدون وكان يومئذ ببسكرة، يخبره بقدومه ويعتب عليه فيما كان من حقه، في الأندلس فرد عليه ابن خلدون برسالة مؤثرة يؤكد فيها، حبه وتقديره ويهنئه بنجاته[3].

[1] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق،ج3، ص499. ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، المصدر السابق، ص84.

[2] ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، المصدر السابق، ص91.

[3] ابن خلدون: نفسه، ص91. عبد الله عنان: أندلسيات، المرجع السابق، ص63.

الفصل الرابع

اغتيال ابن الخطيب

المبحث الأول: أعداء ابن الخطيب

المطلب الأول: أبي الحسن النباهي

المطلب الثاني: أعداء ابن الخطيب

المبحث الثاني: الساعيات والكيد

المطلب الأول: فراره للمغرب وأحواله بها

المطلب الثاني: محاكمته واغتياله

المبحث الأول: أعداء ابن الخطيب

المطلب الأول: أبي الحسن النباهي

جل الأخبار المستمدة عن هذه الشخصية إما من ابن الخطيب، وهو الذي ترجم له في كتابه الشهير الإحاطة، وأثنى عليه ثم هجاه ونقلب الثناء إلى شتم في كتابه الكتيبة الكامنة أو المقري الذي ترجم له في كتابه، نفح الطيب، أو أحمد بابا التنبكتي في كتابه نيل الإبتهاج.

فهو علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي، أبو الحسن الملقب أو المعروف بالنباهي[1]، هو من أسرة استقرت منذ عقود عديدة بمدينة من أزهر وأبهى المدن بالأندلس، نعني بها مدينة مالقة، ففي هذه المدينة ولدى النباهي في سنة 713هـ [2]، قال فيه ابن الخطيب: "هذا الفاضل قريح بيت مجادة وجلالة وبقية تعين وأصالة، عف النشأة، طاهر الثوب، مؤثر للوقار والحشمة، خاطب للشيخوخة مستعجل الشيبة، ظاهر الحياء."[3]وتلقى العلم على جملة من علماء و أشياخ زمانه، نذكر منهم الشيخ الخطيب أبي بكر الطنجالي، "قريب أبيه، وناظر عليه بعده بوصياته، وكان من أهل الدراية والرواية"، وعن الشيخ الفقيه أبي القاسم محمد بن أحمد الغساني، شهر بابن حفيد الأمين، وقرأ عليه الفقه والقرآن، وسمع عليه وتلا على الشيخ الأستاذ، المقري أبى محمد بن أيوب وسمع عليه الكثير. وكذالك أخذ على الشيخ المقري أبي القاسم بن يحي بن محمد ابن درهم، وأخذ عن قريبه القضاء نسيج وحده، أبي بكر بن عبد الله بن بكر الأشعري. ومن أشياخه كذالك صهره القاضي الأستاذ أبو عمر بن منصور، وأبو عبد الله بن قطان، ولا يزال هناك العديد من أجل الأشياخ وأعلامهم من الذين، أخذ عنهم على رأسهم الخطيب المقري ابن جزي، والقاضي أبي الحجاج يوسف المنتشافرى، وغيرهم الكثير.[4]

ورحل إلى غرناطة لاستكمال ثقافته الأدبية، والفقهية ثم غادر عاصمة بني النصر حين ولي القضاء بمدينتين صغيرتين، وعاد إليها مرة أخرى للاستقرار بها نهائيا، عندما عين

---

[1] التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص329.

[2] النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، تح لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، د ط، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، 1400هـ/1980م، ص ح

[3] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص119.

[4] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص90.

كاتبا بالديوان في بلاط الملك، ولم يلبث طويلا حتى أسبغ عليه سلطان غرناطة منصبا جليلا ألا وهو خطة القضاء، وكان هذا بفعل مساعدة ابن الخطيب له وسعى لتمكينه في البلاط ورفع منصبه، وكان يحظى بمكانة خاصة في قلب ابن الخطيب، فترجم له بأجمل العبر في الإحاطة وأثنى عليه، ولم يكتفي ابن الخطيب بالثناء على صديقه بقصر الحمراء بل كاد أن يكون إطراء، وأورد ابن الخطيب جملة من أشعار النباهي ونماذج من نثره[1]، كما أثنى كذلك النباهي على ابن الخطيب وظهر ذالك من خلال رسالة النباهي للسان الدين وجاء فيها: "يا أيتها الآية البالغة وقد طمست الأعلام، والغرة الواضحة وقد تنكرت الأيام والبقية الصالحة وقد ذهب الكرام، أبقاكم الله تعالى البقاء الجميل، وأبلغكم غاية المراد ومنتهى التأمل، أبى الله أن يتمكن المقام بالأندلس بعدكم، وأن يكون سكون النفس إلا عندكم، سر من الكون غريب، ومعنى في التشاكل عجيب"[2].

كما وصف ابن الخطيب النباهي في كتابه الإحاطة :"بعيد الغرور، مرهف الجوانب مع الانكماش، مقتصد في الملبس والآلة، متظاهر بالسذاجة، برئ من النوك والغفلة، يقظ للمعاريض، مهتد إلى الملاحن، طرف في الجود، حافظ مفيد، طلعة، إخباري، قائم على تاريخ بلده."[3] كل هذه العبارات المتبادلة من الطرفين، إن دلة على شيء فإنما تدل على مدى المحبة والاحترام والصداقة، الذي كانت بينهما، قبل أن يظلم الجو و تعكر صفاء محبتهم، ويتغير الحال من ثناء ومدح إلى شتم وذم. ولا يخفانا أن النباهي كان بارع في نثر وكذالك في الشعر ومن أشعاره:

بِنَفْسِي مَنْ غُزْلَان حَزْوى وَغَزَالَة***جَمَالُ مُحَيَاهَا عَنْ الْنُسُكِ زَاجِرُ
تَصِيدُ بِلْحَظِ الْطَرَفِ مَنْ رَامَ صَيْدُهَا***وَلَوْ أَنَّهُ الْنِسْرَ الْذِي هُوَ طَائِرُ
مُعَطَرَةُ الْأَنْفَاسَ رَائِقَة الْحَلَى ***هَوَاهَا بِقَلْبِي فِي المهَامَه سَائِرُ
إِذَا رَمَتْ عَنْهَا سلْوَة قَالَ شَافِع *** مِن الْحُبِ: مِيعَادُ الْسَلو الْمَقَابِرُ[4]

وقال أيضا:

فَدَيْتُكَ لاَ يُهْدَى إِلَيْكَ أَجَل مِنْ*** حَدِيثُ نَبِي الله خَاتَمُ رُسُلِهِ

[1] النباهي :تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ص ح
[2] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص118.
[3] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص89.
[4] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج6، ص120.

وَمَنْ ذَاكَ الْبَاب الْمِثَالُ الْذِي أَثْنَى*** بِهِ الأَثَر الْمَأْثُور فِي شَأْنِ نَعْلِهِ
وَمَنْ فَضْلِهِ مَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ حَامِلِ*** لَهُ نَالَ مَا يَهْوَاهُ سَاعَةَ حَمْلِهِ
وَلَا سِيَمَا إِنَّ كَانَ ذَا سَفَر بِهِ*** فَقَدْ ظَفَرَتْ يُمْنَاهُ بِالأَمْنِ كُلَهِ
فَدُونُكَ مِنْهُ أَيُّهَا الْعِلْم الْرِضَا*** مِثَالاً كَرِيمًا لَا نَضِيرَ لِمِثْلِهِ.[1]

المطلب الثاني: أعداء ابن الخطيب

حال البشر متقلب مثل حال الدنيا اليوم صديقك غدا عدوك، وهكذا كان الحال مع ابن الخطيب في معترك الحياة يتقلب، فلما كانت الحياة مبتسمة له كان من ذا الذي يجرا على معارضته، والكل يطلب وده وينشد رضاه، ويتقرب إليه، ولم يدنس معاليه أحد، والكل يسعى لرضاه ولما قلبت الأيام له ظهر مجنها، وداست عليه بقدمها، وتحول من سيد في دولته إلى فار منها مطالب برأسه، وكثر مبغضوه وكشروا عن أنيابهم أمام الملا، ونزعوا الستائر من على وجوههم بعد أن وطد لهم ومكنهم في الدولة، وقلدهم زمام الأمور، وأصبح يبحثون له عن عيوب ويختلقون له الدعيات، واتهموه في دينه ونسبوا إليه الزندقة والانحلال من ربقة الإسلام، وخونوه في دولته و لم تثبت عليه هذه التهم[2]، إلا أن الحقد أعمى الأعين والبصائر وعششا في قلوبهم، و ماتت ضمائرهم، وقال المقري: عما نسبوه إليه وزعموا أنهم أثبتوا عليه التهم "والظن أن مقامه رحمه الله تعالى من لبسها بري وجنابه سامحه الله تعالى عن لبسها عري"[3]

ولكن السهم الذي رمي به ابن الخطيب كان مؤلما، أكثر من كونه قاتل وطعن في ظهره من أقرب الناس وأحبهم إليه، وجرحه منهم لم يندمل، وكان غادره على يد أبو عبد الله ابن زمرك الذي كان تلميذه النجيب والمخلص[4]، وكان ابن الخطيب يتوسم فيه خيرا كبيرا وأعلى مكانه و وطا له في قصر الحكم ويعد ابن الخطيب ولي نعمته وله فضل كبير عليه فلقد أثنى عليه ابن الخطيب أنى ثناء، وحلاه في الإحاطة أحسن الحلي[5] وألبسه بكلماته الزاهية المسجوعة أجمل وأنقى اللباس وكان متوسم فيه خيرا كبير، ولكن حال بينه وبين

[1] ابن الخطيب: الإحاطة، المصدر السابق، ج4، ص91.
[2] ابن الخطيب: الإشارة، المصدر السابق، ص19.
[3] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص119.
[4] المقري: نفسه، ص119. ابن الخطيب: الإشارة، المصدر السابق، ص20.
[5] التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص487.

تلميذه ومكب الناس على مناخرهم في نار الفتن ، أعني به الحسد والبغض والحقد، فتحول من أقرب الناس محبة له إلى أكبر أعدائه، وتتبع مساوئه ويشهد على ملفق له، وذهب ذلك الاحترام المتبادل حيث كان ابن زمرك لا يرفع عينه في حظرة معلمه، أصبح يركض وراء محاكمته والاقتصاص منه، وحاكمه وأهانه في مجلس ابو العباس المريني.[1]

وأشد أعدائه الذين ظاهروا له بالعداوة بعد سقوطه في غياهب المحن، والذي كان البارحة "يسعى في مرضاته سعي العبيد، القاضي أبو الحسن ابن الحسن النباهي، فكم قبل يده" وانحنى أمامه لأن ابن الخطيب كان له الفضل عليه، حيث رسخ وجوده وأعلى مقامه في دولة ثم طعنه بخنجر الغدر من حيث لا يحتسب، وجد في عداء ابن الخطيب وكان لا يكلّ ولا يملّ، ولا يستحي على نفسه اليد الذي مدت له بالخير يعضها، وترأس سفارة لمحاكمة ابن الخطيب والقضاء عليه، لكنها باءت بالفشل وعاد إلى غرناطة يجر أذيال الخيبة ورائه، ولكنه لم يسأم وبقي ورائه إلى أن كان مهلكه على يده[2]هو وابن زمرك. ولقد قال ابن الخطيب أبيات شعرية في أيام نكبته مع الغني بالله، إلا أن هذه الأبيات تنطبق على نكبته الثانية التي كان ورائها أصدقائه الحاقدين عليه وجاء فيها :

تَلَون إِخْوَانِي عَلَيَّ وَقَدْ جَنَتْ ***عَلَيَّ خُطُوب جَمَة ذَات أَلْوَانِ

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ أَنْ يَتَنَكَرُوا *** بِأَنَّ إِخْوَانِي كَانَ مَجْمَع خَوَانِي

وَكَانَتْ وَقَدْ حَم الْقَضَاء صَنَائِعِي***عَلَيَّ بِمَا لاَ أَرْتَضِي شَرَّ أَعْوَانِي

ولقد قال أبو إسحاق التلمساني أبيات عن الغدر وكأنه يعني بها صاحبنا قال فيها:

الْغَدْرُ فِي النَّاسِ شَيمة سَلْفَت*** قَدْ طَالَ بَيْنَ الْوَرَى تَصَرُفَهَا

مَا كُلُ مَنْ قَدْ سَرَت لَهُ نِعَم *** مِنْكَ يَرَى قَدَرُهَا وَيَعْرِفُهَا

بَلْ رُبَمَا أَعْقَبَا الْجَزَاء بِهَا*** مَضَرَّة عَزَّ عَنْكَ مَصْرِفَهَا

أما ترى الشمس كيف تعطف بالنور*** على البدر وهو يكسفها.[3]

ولكن ابن الخطيب لم يكن لقمة صائغة، لأعدائه رغم تكالبهم عليه بل وثب لمهاجمتهم كما هاجموه، فهجاء النباهي ووصفه بصفات مذمومة في كتابه الكتيبة الكامنة، و وصفه بالجعسوس وهو القصير الدميم، وألف فيه رسالة سمها "خلع الرسن في أخبار القاضي ابن

[1] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص119.

[2] المقري: نفسه، ص119.

[3] المقري:نفح الطيب،المصدر السابق، ص120.

الحسن" وقال فيه في كتابه الكتيبة الكامنة" أطروفة الزمن، التي تجعل غرائبها عن الثمن وقرد شارد من قرود اليمن، ذنبا وأحداقا، وفروة وأشداقا، وإشارة واصطلاحا، وخبثا وسلاحا لا يفرق بينها في الشكل، وقرب الغائط من الأكل، تشغل به الصبيان إذا بكت، وتتملح بذكره الزهاد بعدما نكست،..."إلى أن قال "وكانت أمه أم جعسوس قابلة ذلك الوضع، ومقدرة الفطام والرضع، تولول عند الخلاص، وتعوذ المولود بسورة الإخلاص، وتقطع سرة اليعفور بالاظفور، وتلعق عينه بالسان، وتبارك بعد ظهوره بدهن البلسان"[1] لقد هجاه ووصفه بأقبح الصفات ولم يبقي فيه ولم يذر.

أما النباهي فقال عن ابن الخطيب في رسالته الذي أرسله إليه، وهو بفاس يهدده بالويل والقتل والثبور وذكر له الآية الكريمة "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة"[2] وإن دلت على شيء هذه الآية إنما تدل على الموت المحتم، ولو تحصنت في البروج أو كما أراد النباهي أن تدل لو تحتمي بالبروج والقلاع وتحتمي بدول أو بسلاطين، سوف تموت وإن لم يسبق فيك الموت المكتوب على الخلق فأجلك يكون على يدي، وظهرت هذه النوايا جليا في نص رسالته وبالخداع والمكيدة وتزوير وتلفيق التهم، بالفعل كان أجله هو من المتسببين فيه، وقال له في رسالته:" أين المهرب مما هو كائن ونحن إنما نتقلب في قدرة الطالب شرقتم أو غربتم، الأيام تتقاضى الدين، وتنادي بالنفس الفرارة إلى أين إلى أين..." [3]

المبحث الثاني: السعايات والمكائد

المطلب الأول: فراره إلى المغرب وأحواله بها

وبعد أن خلى لابن الخطيب الجو واستفرد بالحل والعقد وغلب على هوى السلطان في هذه الأثناء شعر بتحركات ضده وهذا بفضل فطنته وذكائه، وشعر بأنه هناك من يحيك له المكائد ويتآمر عليه، ولاحظ أن السلطان بدأ يتأثر بسعاية خصومه[4] وأحس بميول السلطان نحوهم والإصغاء لأقاويلهم، فعزم بينه وبين نفسه على الارتحال وتحول إلى العدوة

[1] ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، المصدر السابق، ص147.

[2] سورة النساء الآية 78.

[3] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص122.

[4] ابن الخطيب: الإشارة، المصدر السابق، ص19.

الأخرى بجانب السلطان عبد العزيز[1]، وطلب "السلطان في تفقد الثغور وسار إليها في لمة من فرسانه"، وكان الأمر سر وتحت تستر كبير خشية أن تكشف النوايا ويفتضح الأمر وكان برفقته ابنه علي وسار إلى أن وصل إلى جبل الفتح[2]وكان" الجبل يومئذ تابعا إلى ممتلكات بني مرين، وبالفعل نجحت خطت ابن الخطيب"[3] لأن ابن الخطيب كان يتطلع للمستقبل بنظرة ثاقبة، فوطد في سياسته الخارجية لنفسه مع العدوة المغربية، وربط غرناطة بفاس من خلال سفاراته التي كللت بنجاح كما صنع لنفسه مكانة في العدوة المغربية في فترة نفيه مع سلطانه، وسعى جاهدا في إرضاء سلاطين بني مرين في كل ما يطلبونه أو ينشدونه من غرناطة.[4]وسكانها، فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه وهذه السياسة التي اتبعها ابن الخطيب ،قد أثارت حفيظة أعدائه وأنبت نقمتهم عليه وعارضها الكثير من رجال الدولة، وجاز ابن الخطيب إلى العدوة مرورا بجبل الفتح[5] وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك وجهز له الأسطول من حينه، فدخل الوزير لسان الدين إلى سبتة، واستقبل بحفاوة وكرم من طرف ولاتها أحسن التكريم، ثم سار قاصدا السلطان 773هـ وكان السلطان آنذاك بمقامه بتلمسان، فاهتزت وطربت بمقدمه الدولة وسار السلطان للقائه والترحيب به هذا يدل على مدى محبته ومكانته وقوة الصداقة بين السلطان عبد العزيز وابن الخطيب وأعلى مجلسه وقربه منه مكانة وكان عزيزا في دولة عبد العزيز، وأرسل السلطان أبى يحيى بن أبي مدين سفيرا إلى الأندلس، في إجازة أسرة ابن الخطيب والقدوم بها إلى المغرب فأجابه ابن الأحمر صاحب غرناطة إلى طلبه وعاد بهم أبي يحيى على أكمل حال من الأمان والسلامة[6]، وهنا نستنتج بأن بني مرين في عهد السلطان عبد العزيز كانت لها مكانتها الخاصة وكانت قوية وكلمتها مسموعة، وكان من المتوقع أن ابن الخطيب أن يحمد

---

[1] السلطان عبد العزيز: يكنى أبا فارس بويع للإمارة يوم الأحد 22ذي الحجة 767هـ، توفي يوم الخميس 22 ربيع الثاني 774هـ، بتلمسان ودفن في فاس في جامع قصره، وله 24سنة وكانت دولته 6 أعوام و4 أشهر. ابن الأحمر: روضة النسرين، المصدر السابق، ص33.

[2] بلنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، المرجع السابق، ص255.

[3] ابن الخطيب: الإشارة، المصدر السابق، ص20.

[4] مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص243.

[5]جبل الفتح: هو جبل في الأندلس نسبة إلى الفاتح طارق ابن زياد. ابن الخطيب: معيار الاختيار، المصدر السابق، ص82.

[6] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص445. المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص211.

الله على النجاة من أعدائه، بسلامة رأسه وعياله وأن يهنا بمقامه الرفيع الذي منحه إياه السلطان عبد العزيز فقد أحله مكانة لائقة به، وعوضه عما قد فقده في الأندلس أضعافه، ولكن هيهات أن يستقر له حال ووراءه أعداء لا يكلون ولا يملون عن ملاحقته، فشمر لرد عليهم وأن يكيل لهم بنفس المكيال، ولقد اتخذ خصومه من هروبه إلى المغرب بهذه الطريقة حجة عليه قوية، ومادة دسمة للكيد له وأكدوا لسلطان إدانته وعدم وفائه لسلطانه ودولته وأبدوا ما كان في نفوسهم ضامرا، وزاد الاتهام تأكيدا للسلطان وأشاعوا أن ابن الخطيب أخذا المال وفر به إلى المغرب، وقال في ذالك غريمه الأول الذي يسعى للإطاحة برأسه النباهي في رسالته " فهمزتم و لمزتم، وجمعتم من المال ما جمعتم ثم هربتم بأثقالكم "[1]وتهمه هنا بسرقة مال الدولة.

وجمعت كل الإتهامات التي نسبت إليه وعلى رأسها الزندقة، ورفعت إلى قاضي الجماعة أبو الحسن النباهي، اطلع عليها وأثبتها وراجع السلطان ابن الأحمر رأيه فيه وبعثه إلى المغرب للسلطان عبد العزيز، لإقامة الحد عليه ومحاكمته بتلك التهم التي لفقت له وصادق عليها قاضي غرناطة ووافق عليها سلطانه، وكان السفير وصاحب المحكمة في هذا الأمر ألد خصومه، وهو النباهي فكيف يقام الحكم بالعدل والقاضي عدو المتهم، لكن لما قدم النباهي قصر السلطان عبد العزيز، فجاء وصدما وأصيب بذهول، لما رفض السلطان عبد العزيز تسليم ابن الخطيب لمحكمة ظالمة، وقال للنباهي" هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه؟ أما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان بجواري"[2]، ولقد أثبت السلطان عبد العزيز برفضه لهذا الأمر براءة ابن الخطيب من التهم الملفقة له، ولو كان مدانا حقا ومثبتة عليه هذه التهم لا حاكموه في بلادهم قبل فراره منهم، وعلاوة على ذلك منحه الأمان بجواره ودخل في ذمته، ووفر له الجراية والإقطاع له ولبيته ولمن جاء معه من أهل الأندلس، وعاد النباهي يجر أذيال الخيبة وراءه.[3]

ومن المعروف أن ابن الخطيب مخضرم محنك سياسي وذكي جدا، استغل حب السلطان له وكان يدرك بأن دولة بني مرين كانت في أوج عطائها وقوتها، واراد قلب الطاولة على أعدائه، وبدل أن يكون فريسة يصبح هو المفترس وبعد أن استحكم العداء بينه وبين

[1] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص445. ابن الخطيب: الإشارة، المصدر السابق، ص21.

[2] ابن خلدون : نفسه، ص445.

[3] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص445. المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق ج1، ص211.

ابن الأحمر صاحب غرناطة، استعمل سياسة تقليدية خطيرة وقام بتحريض سلطان عبد العزيز بالإستلاء على غرناطة، لكي يصل إلى مبتغاه وكان يرمي من وراء ذلك لسحق أعدائه وتأمين مقامه في المغرب والأندلس، وهمس بذالك في أذن السلطان عبد العزيز فصادفت هذه الفكرة هوى في نفس السلطان، وراودته فكرة أن يضم المغرب بالأندلس أي العدوتين، فأعجب بالفكرة كثيرا ووعد بتنفيذها[1]، وقال في ذلك ابن خلدون :" ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الأحمر فرغب السلطان عبد العزيز في ملك الأندلس وحمله عليه فتخوف ابن الأحمر لذلك كثيرا، وأسرع في إيفاد رسله بالهدايا والتحف الثمينة إلى بلاط فاس، أملا في نيل رضا السلطان عبد العزيز واتقاء شره"[2]

لكن سارت الرياح بما لا تشتهي السفن وانقلب الحال ووقع ما لم يكن في الحسبان وحال بين ابن الخطيب وبين حلمه في الاقتصاص من عدوه وغريمه موت السلطان عبد العزيز، ووفته المنية سنة774هـ وخلفه على عرشه ابنه أبو زيان محمد السعيد[3] ولم يزل طفل لم يبلغ[4].

ورجع بنو مرين إلى فاس و تركوا تلمسان[5] وأصبح الوزير أبى بكر بن غازي هو القائم على دولة، وتحيز ابن الخطيب له فبقى على منزلته منه كما كان على عهد السلطان عبد العزيز، واستكثر الضياع ابن الخطيب بفاس وتأنق في بناء المساكن واغترس الجنان[6]، وعاد أعداء ابن الخطيب من جديد وبقيادة ابن الأحمر بنفسه هذه المرة، يراودون سلطان فاس أو بالأحرى الوزير أبى بكر بن غازي في ابن الخطيب، أن يخلي بينهم وبينه فوقف في وجوههم كما فعل سلطانه عبد العزيز قبله، وأقبحهم الرد فاهتزت لرده ذلك دولة ابن الأحمر فأجمعوا

[1] مختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس**، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، د س، ص242. ابن الخطيب: الإشارة، المصدر السابق، ص24.

[2] ابن الخطيب: نفسه، ص24.

[3] محمد السعيد أبا زيان: ابن سلطان عبد العزيز، بويع بعد وفاة والده، حكمة صغير حكمه عام و 8أشهر و14 يوم.ابن الأحمر: روضة النسرين، مصدر سابق، ص34.

[4] مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص242.

[5] تلمسان: مدينة مغربية جمعت بين الصحراء والريف، غنية بثمار ومتنوعة، كانت مدينة الملوك، وسكنها العديد من العلماء. ابن الخطيب: معيار الاختيار،المصدر السابق، ص ص 183 184.

[6] بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، المرجع السابق، ص255.

أمرهم واستعد، وأطلق ابن الأحمر عبد الرحمن بن أبي يفلوس[1] من غياهب السجن وكان وراء سجنه ابن الخطيب، وأركبه الأسطول وقذف به إلى ساحل بطوية[2] أما ابن الأحمر أخذ معه الوزير ابن ماساي، ونزل بعساكره جبل الفتح ولما سمع الوزير أبى بكر ما قام به ابن الأحمر من استعدادات وتجهيزات، ولى ابن عمه محمد بن عثمان سبتة خوفا عليها من ابن الأحمر، والوزير أبى بكر توجه إلى بطوية لمواجهة

ابن يفلوس وقاتله أياما ثم عاد إلى فاس، وبينما الوزير أبا بكر[3] يقلب الرأي في أصحابه بشأن هذا الأمر الجلل، إذ بهم يأتونه بخبر قسم ظهره من شدة هوله وهو أن ابن عمه بايع أحمد بن أبي سالم وأعلن له الولاء، وعقد بينهم الصلح ابن الأحمر ولقد دس أبن الأحمر، أفكار شيطانية تخدم مصالحه وجعلتهم يتحالفون ضد الوزير أبا بكر، إذ قال لهم ابن الأحمر يجب أن تقيم للمسلمين سلطانا ولا يتركوا أمرهم فوضى تحت ولاية صبي لم يبلغ بعد، ولا تصح ولايته شرعا وأراد أن يكون السلطان وولي أمر المسلمين في المغرب أحمد بن أبي سالم لأنه كان مواليا لأبيه في ما مضى. [4]

واشترط ابن الأحمر وعصبته على محمد بن عثمان[5] شروط وهي أن ينزل لهم عن جبل الفتح أي يصبح تابع لدولة بني الأحمر، وأن يبعثوا له بجميع أبناء ملوك بني مرين ليضعهم تحت أنظاره وحمايته، وأن يبعثوا له بابن الخطيب متى قدر عليه وأمكنهم ذلك، ووافق على الشروط وبايع وتم الأمر[6]،وهنا أفلتت الأمور من بيني يدي أبن الخطيب والوزير أبا بكر، وأحيطوا بالأعداء من كل جانب ودقة طبول الحرب وانتشرت رائحة الدم، ولاحت في

---

[1]عبد الرحمن بن أبي يفلوس: ابن عم السلطان أبي الحسن ملك العدوة، كان شيخا للغزاة في الأندلس من ألد خصوم ابن الخطيب. ابن الخطيب: روضة التعريف، المصدر السابق، ص8.

[2]بطوية: من حصون ورباطا تتسفاقس، وهي على البحر وبها منارة مفرطة في الإرتفاع. المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص225.

[3]الوزير أبى بكر بن غازي بن يحي بن الكاس: وزير بني مرين ملوك فاس بالمغرب، ترقى في مناصب الدولة في أيام السلطان عبد العزيز واستبد على إبنه. المقريزي: **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تح محمود الجليلي، ط1 دار الغرب الإسلامي،1432هـ، 2002م، ج1، ص133.

[4] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص227. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص105.

[5]محمد بن عثمان: هو ابن عم الوزير أبو بكر بن غاز بن الكاس، كفل محمد بن عثمان أبو بكر وتزوج أمه، بعد وفات عبد العزيز المريني تحالف مع ابن الأحمر وسلطان أبو العباس، ضد ابن عمه. المقريزي: درر الفريدة، المصدر السابق ج1، ص134.

[6] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص228. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص105.

الأفق المحنة لابن الخطيب من جديد، ولكن ليس كل مرة تسلم الجرة، وتكالب عليه الأعداء وكثروا من حوله حتى لا يكاد أن يجد من يواسيه ولو بكلمة.

المطلب الثاني: محاكمة ابن الخطيب واغتياله

لقد عاش المغرب إبان هذه الفترة في هرج ومرج، وكان موت السلطان عبد العزيز نقطة تحول كبيرة وشهدت انقلاب قلب عليها سافلها، وكان فيه النصر حليف السلطان أبو العباس[1]، واستولى فيه على مركز الحكم للوزير أبا بكر ودار ملكه في 776هـ واستقل بسلطانه، ومعه الوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ألد خصوم ابن الخطيب.

وكان من شروط المعاهدة والبيعة الذي كانت بين ابن الأحمر ومحمد بن عثمان وأحمد بن أبي سالم، أنه بعدما يستتب الأمر لهم في المغرب يلقون القبض على ابن الخطيب ويسلمونه إلى ابن الأحمر، لأنه كان يغري السلطان عبد العزيز بالإستلاء على الأندلس، وزيادة على ذالك التهم الذي اتهموه بها، ولما دخل السلطان أبو العباس على البلد الجديد ولقي الوزير بن غازي بساحته ودارت بينهم معركة، فتغلب عليه أبو العباس وفر الوزير أبا بكر ودخل في حصار و دخل معه ابن الخطيب خوفا على نفسه، وما لبث أن استولى أبو العباس على البلد الجديد[2]، وبسط عليه نفوذه وتحكّم في زمام الأمور وبقي الحال هكذا كما هو عليه أياما، وأبو العباس الآمر الناهي في المغرب، ثم همس سليمان بن داود[3] في أذن السلطان بإلقاء القبض على ابن الخطيب، والوفاء بالوعد الذي اتفقا عليه مع ابن الأحمر وألقي القبض على ابن الخطيب، لأن العداء الذي بين ابن الخطيب وسليمان بن داود قديم منذ أن كان ابن الخطيب بيده الحل والعقد، عند السلطان ابن الأحمر ولما أصبح ابن داود قوي بفضل مكانته من السلطان أبو العباس، نفض الغبار عن تلك العداوة ونبش عليها مقابر النسيان وأحياها من جديد، وقال ابن خلدون عن هذا العداء" كان سليمان بن

---

[1] السلطان أبو العباس: لقبه المستنصر، بويع للحكم في طنجة في ربيع الثاني775هـ، وبويع البيعة التامة في المدينة البيضاء في يوم الأحد6 محرم776هـ، وخلع في الموضع المعروف بالركن يوم الأحد الموفى30 ربيع الأول786هـ. كانت دولته الأولى من حين البيعة بطنجة10سنين و11شهرا، ومن حين البيعة بالمدينة البيضاء10 سنين وشهرين. ابن الأحمر: روضة النسرين، المصدر السابق، ص34.

[2] المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ص229.

[3] سليمان بن داود: أحد ألد خصوم بن الخطيب يكن له العداء والحقد، وعده ابن الأحمر أن يكون مشيخة الغزاة في الأندلس في محنته ولما عاد إلى ملكه حال بينه وبين حلمه إبن الخطيب، فاشتد العداء بينهم منذ ذلك الحين وكان مقتل ابن الخطيب على يده ويد أذنابه توفي سليمان سنة781 هـ. ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص455 .

داود شديد العداوة لابن الخطيب، لما كان سليمان بن داود قد تابع السلطان ابن الأحمر على مشيخة الغزاة بالأندلس، حتى أعاده الله إلى ملكه. فلما استقر له السلطان، أجاز إليه سليمان سفيرا، عن عمر بن عبد الله، ومقتضيا عهده من السلطان فصده ابن الخطيب عن ذلك، بأن الرياسة إنما لأعياص الملك من آل عبد الحق، لأنهم يعسوب زناتة. فرجع آيسا وحقد على إبن الخطيب." وبقي هذا الحقد يحز في نفس سليمان وكانت بينه وبين ابن الخطيب مراسلات لما كان بمحل إمارته من جبل الفتح، كان ينفس كل منها على الأخر، وحينما تمكن سليمان من ابن الخطيب وأودعه السجن وزف الخبر إلى غرناطة في أسرع من البرق.[1]

وابن الخطيب في غمار هذه الظروف المظلمة لم يبقى مكتوف الأيدي، بل راح يقلب الأمر يمينا وشمالا ويبحث عن أصدقائه المخلصين، ليستنجد بهم في هذه النكبة ولكن أصدقائه كثيرين وقت الطمع قليلين وقت الفزع، فلم يجد أمامه إلا صديقه القديم الوفي الذي لا ينكر الجميل ابن خلدون، ولم يتردد ابن خلدون في السعي لإنقاذه وقال ابن خلدون عن ذلك: " وبعث إلي ابن الخطيب من محبسه مستصرخا بي ومتوسلا، فخاطبت في شأنه أهل الدولة، وعولت فيه منهم على ونزمار، وابن ماساي[2]، فلم تنجح تلك الساعيات."[3] وفي حين وصل خبر القبض عليه إلى غرناطة، أسرع ابن الأحمر في إرسال سفيره الذي خلف ابن الخطيب في منصبه، وهو تلميذه عبد الله بن زمرك وأقيمت المحكمة التي كانوا ينتظرونها منذ زمن، في ظاهرها محكمة ولكن في باطنها مؤامرة، تسعى للقضاء على الوزير ابن الخطيب الذي كان يتفانى في خدمة سلطانه ويسعى لمرضاته.

وأقيمت المحكمة المزعومة بجملة من التهم المنسوبة إليه، وعلى رأسها تهمة الإلحاد والزندقة "وأحضره في المجلس وعرضوا عليه كلمات وقعت له في كتابه "روضة التعريف بالحب الشريف وعظم عليه النكير فيها"[4]،وعذّب وأهين ابن الخطيب أمام الملأ، "وأفتى

[1] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج7، ص452. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص110.

[2] ابن ماساي:هو مسعود بن عبد الرحمان رحو بن ماساي، وزير مغربي، من الدهاة، نعته السلاوي برئيس الفتنة وقطب رحاها، وهو من الذين سعوا بالإطاحة بابن الخطيب وكانت نكبته على يديه هو وابن يفلوس وابن الأحمر، وهلك ابن ماساي في أيام المستنصر، هو وإخوته وحاشيته تحت التعذيب إلى أن هلكوا. الزركلي: الأعلام، المصدر السابق،ج7، ص218 .

[3] مختار العبادي: لسان الدين ابن الخطيب وكتاباته التاريخية، المرجع السابق، ص44.

[4] ابن الخطيب: روضة التعريف، المصدر السابق، ص28.

بعض الفقهاء المتعصبين بوجوب إعدامه كما أحرقت كتبه، بفتوى من القاضي النباهي في غرناطة فجمعت وأحرقت"[1]، وبعد اهانته ومحاكمته أعيد إلى زنزانته وهرع سليمان بن داود ونيران الشر والحقد تتطاير من جنبيه، وتقدح في عينيه، ودس له بعض الأذناب والأوغاد من حاشيته لقتله، "فطرقوا السجن ليلا، و معهم بعض الزعانف ممن جاؤوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر، واجتمعوا على قتله،"[2] ودخلوا عليه زنزانته وقتلوه فيها خنقا واخرج في الغد، وسحب ودفن بمقبرة باب المحروق.

ثم أصبح من الغد على حافة قبره طريحا وجمعت له أعواد، وأضرمت فيه النار فاحترق شعره، وسودت بشرته، ثم أعيد إلى قبره ودفن من جديد، وانتهت محنته رحمه الله وعجب الناس من هذا الصنيع وهذه الشنعاء التي قام بها سليمان بن داود، واعتدوها من هناته، وعظم النكير فيها على قومه وأهل دولته.[3]

وقبيل قتله وكأنه أحس بدنو الأجل واقتراب الرحيل فبكى نفسه ورثها بكلمات عبرة عن حاله وما في نفسه تخط بماء الذهب، حيث قال:

بَعْدَنَا وإِنْ جَارَتنا البِيُوتُ***وَجئنا بِوعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
وَأَنْفُسَنَا سَكَنَتْ دَفَعَتْ ***كَجَهْرِ الْصَلاَةِ تَلاَهُ القَنوتُ
وَكُنَّا عُظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا ***وَكُنَّا نَقُوتُ فَهَا نَحْنُ قُوتُ
وَكُنَّا شَمْسُ سَمَاء الْعُلَا***غَربنَ فَنَاحتْ عَلَيْنَا الْسَموتُ
فَكَمْ جَدَلْتَ ذَا الْحُسَام الظَبِي***وَذُو الْبَخْت كَمْ جَدَلْتَه الْبخُوتُ
وَكَمْ سِيقَا لِلْقَبْرَ فِي خَرْقَة ***فَتَى مُلِئَتْ مِنْ كسَاهُ الْتُخُوتُ
فَقُلْ لِلْعدَاء ذَهَبَ اِبْن الْخَطِيب***وَفَات وَمَنْ ذَا الْذِي لاَ يَفُوتُ
وَمَنْ كَانَ يَفْرَح مِنْهُم لَه***فَقُل يَفْرَحُ الْيَوم مَنْ لاَ يَمُوتُ.[4]

ويرى أحمد بابا التنبكتي في " كفاية المحتاج فيمن ليس في الديباج" أن ابن الخطيب رثى نفسه بقوله:

---

[1] عبد الله عنان: أندلسيات، المرجع السابق، ص65.

[2] ابن خلدون: العبر،المصدر السابق، ج7، ص453.

[3] ابن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ص453. المقري: أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص231. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص111.

[4] كمال شهاب محمد الجبوري: تجليات المضامين التراثية في شعر لسان الدين بن الخطيب، أطروحة درجة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، كلية الآداب، 2015 . 2016م، ص 11.

قَفْ مَغْرِبَ شَمْسَ الضُحَى*** بَيْنَ صَلاَة العَصْر وَالْمَغْرب

وَسَتَرْحَم الله قَتِيلاَ بِهَا***كَانَ إِمَام الْعَصْر بِالْمَغْرِب.

ويعلق على ما حدث فيقول " وكان قتله والحكم بكفره وصمة في جبين قضاة المالكية بالمغرب، حيث كانت فتوى بلا برهان."[1]

ولقد كانت هذه البلية التي أودت بحياة ابن الخطيب في أواخر عام 776هـ[2]"و يقول المقري إنه تمكن من معرفة قبر ابن الخطيب، وذلك خلال إقامته مبكرا بفاس، أوائل القرن الحادي عشر هجري القرن السابع عشر الميلادي، فزاره في مرقده قال وقد زرته . رحمه الله تعالى . بفاس المحروسة، فوق باب المدينة الذي يقال لها باب الشريعة وهو يسمى الآن باب المحروق[3]، وشاهدا موضع دفنه غير مستوي مع الأرض، بل ينزل إليه بانحدار كثير."[4]

وقال المقري عنه على لسان الحافظ ابن حجر عن بعض الأعيان، " أن ابن الأحمر وجهه إلى ملك الإفرنج في رسالة فلمّا أراد الرجوع، أخرج له رسالة ابن الخطيب تشتمل على نظم ونثر، فلما قرأها قال له: مثل هذا كان ينبغي أن لا يقتل، ثم بكى حتى بل ثيابه."[5]إنها شهادة قوية وحجة بالغة على الذين أخطاء في حق ابن الخطيب وقتلوه، أن يشهد له العدو الكافر ويبكي ويتحسر على قتله لأنه يعرف مدى قيمته الحقيقة، شهادة وكفى بها شهادة.

---

[1] ابن الخطيب: روضة التعريف، المصدر السابق، ص29.

[2] المكناسي: جذوة الاقتباس، المصدر السابق، ص 309.

[3] باب المحروق: وهو أحد أبواب فاس، كان يسمى باب الشريعة، وسمي بالباب المحروق، بعدما أحرق فيه جثت محمد بن عبد الله في وسط الباب، وركبت مصارعه وسمي بالباب المحروق. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:**الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية**، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء،1418 هـ /1997، ج2، ص219.

[4] ابن الخطيب: الإشارة، المصدر السابق، ص ص 27 28.

[5] المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج5، ص112.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لشخصية بن الخطيب الشاعر المؤرخ الوزير الطبيب، والإطلاع على أدق تفاصيل حياته من خلال جملة من المصادر والمراجع التي تكلمت عن شخصيته، توصلنا إلى العديد من النتائج:

لقد ولد ابن الخطيب في لوشة المدينة الأندلسية، وعاش بين الأندلس والمغرب كانت بداية حياته أندلسية في مدينة غرناطة شبَّ وترعرع في أكناف قصورها وتلقى العلم، على يد خيرة علمائها فإستقى منهم مختلف العلوم ونشأ نشأةً علمية فأصبح شاعرا فحلا، وكاتبا لا يُجارَ في كتاباته.

لقد عمت كتبه المغرب والمشرق وكتبت أشعاره على جدران الحمراء، وتتلمذا على يده العديد من الطلبة وأصبحوا من طليعة الشعراء والأدباء، إذ جمع ابن الخطيب بين مختلف العلوم حتى أصبح من أعلام زمانه.

دخل القصر من جديد بصفته وزيرا واعتلا كرسي السياسة، ودخل معتركها وكان وزيرا بارعا أتقن السياسة كما أتقن العلم، وتقلب في الحياة السياسية مثله مثل غيره من السياسيين ، عاش في نعيمها واكتوى بنيرانها حيث شَهد الانقلابات وعاش المنفى، وشعر بمؤامرات تحاك ضده، وبدعايات تطلق عليه، وبعد وفات سلطان المغرب عبد العزيز المريني تدهورت الأحوال وإختلت الموازين بين المغرب والأندلس ونشبت الفتنة والحرب، واستغل أعداء ابن الخطيب الفرصة فسعوا للإيقاع به وقتله خنقا في سجنه، بعدما لفقوا له تهم مزعومة وحاكموه محاكمة باطلة أودت بحياته.

بيبليوغرافيا

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. ابن الأحمر إسماعيل روضة النسرين في دولة بني مرين، تح عبد الوهاب بن منصور، ط 3، المطبعة الملكية الرباط،1991م.
2. ابن الأحمر إسماعيل، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح محمد رضوان الدراية، ط 1، دار الثقافة لطباعة ونشر والتوزيع بيروت، 1967م.
3. ابن الخطيب السلماني لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، د س.
4. // // // // الإشارة إلى أدب الوزارة، تح محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م.
5. // // // // الكتيبة الكامنة في من لقيناه في الأندلس من شعراء المئة الثامنة، تح إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة لبنان بيروت، 1983م.
6. // // // // اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تح محمد مسعود جبران، د ط، دار المدار الاسلامي، د س.
7. // // // // خطرة الطيف رحلات في المغرب والأندلس، تح أحمد مختار العبادي، ط1، دار السويدي لنشر والتوزيع، 2003م.
8. // // // // روضة التعريف بالحب الشريف، تح محمد الكتاني، ط 1، بيروت لنشر والتوزيع، 1970م.
9. // // // كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح محمد كمال شبانة، د ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1386هـ 1966م.
10. // // // // معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح محمد كمال شبانة، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ 2002م.
11. ابن القاضي ابو العباس أحمد بن محمد المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، د ط، دار المنصور لطباعة و الوراقة، الرباط، 1973م.

12. ابن القنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد ابن الخطيب، الوفيات، تح عادل النويهض،ط 4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.
13. ابن خلدون عبد الرحمان أبو زيد ولي الدين الحضرمي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحاذة وأخرون، د ط، دار الفكر دمشق، ج7، 1421هـ 2000م.
14. // // // // رحلة ابن خلدون شرقا وغربا، تح محمد تاويت الطانجي، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، 2004م.
15. أبو العباس أحمد ابن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، د ط، ج2، منشورات دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.
16. التنبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تح عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط 2، منشورات دار الكتاب، طرابلس،2000م.
17. الحموي الرومي أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، د ط، دار الصادر بيروت، ج4، 1977.
18. الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1974م.
19. الزركلي خير الدين، الأعلام، د ط، منشورات دار العلم للملايين، ببيروت، ج7، 2002م.
20. العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، د ط، دار الجليل بيروت، ج3، 1414هـ 1993م.
21. الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والإثبات والمعجم والمشيخات والمسلسلات، تح إحسان عباس، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي بيروت، ج1، 1402هـ 1982م.
22. المقري التلمساني احمد بن محمد المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض تح مصطفى السقا وغيرهم، د ط، د د، ج1، د س .

23. // // // // نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تح احسان عباس، دار الصادر بيروت، 1968.
24. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تح محمود الجليلي، ط 1، منشورات دار الغرب الإسلامي، ج1، 2002م.
25. النباهي المالقي، أبو الحسن عبد الله ابن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، تح لجنة إحياء التراث العربي، د ط، دار الآفاق الجديدة بيروت، 1980م.

قائمة المراجع:

26. بالنثيا آنخيل، تاريخ الفكر الأندلسي، تر حسين مؤنس، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، د س.
27. بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر نبيل فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار الملايين بيروت، 1968م.
28. حتاملة محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، مطبعة الدستور التجارية، عمان الأردن، 1420هـ 2000م.
29. حسن محمد بشير، تاريخ بلاد الأندلس في العصر الإسلامي، د ط، الكتب العلمية بيروت لبنان، 2014م.
30. الخطيب نبيل خالد، لسان الدين ابن الخطيب 713هـ . 776هـ /1313م . 1374م نثره وشعره وثقافته في إطار عصره،دار النهضة العربية،د.س.
31. رستم محمد ابن زين العابدين، بيوتات العلم والحديث في الأندلس، ط1، دار ابن حزم، 1430هـ 2009م.
32. السلاوي محمد بن ابي بكر التطواني، ابن الخطيب من خلال كتبه، د ط، دار الطباعة المغربية، تطاون، 1954م.
33. سيف الإسلام محمد بو فلاقة، التاريخي والأدبي في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لأبن الخطيب، د ط، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، 1971م.
34. شكري فرحات، غرناطة في ظل دولة بني الأحمر، ط1، دار الجليل،1993.
35. العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، د ط، منشورات دار النهظة بيروت، د س.

36. العبادي أحمد مختار، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1983م.
37. علي الحجي عبد الرحمان، التاريخ الأندلسي، من الفتح حتى سقوط غرناطة 92هـ 897م / 711هـ 1492هـ، ط 2، دار القلم دمشق بيروت، 1302هـ 1981م.
38. عنان عبد الله، آندلسيات، د ط، مكتبة هيثم لعبيدي، د د، د س.
39. فيلاني عبد العزيز، تاريخ الغرب الإسلامي، د ط، منشورات الهدى لطباعة، عين مليلة، الجزائر، 2019.
40. كحالة عمار رضا، معجم المؤلفين، تر مصنفي الكتاب العربي، د ط، ج2، د س.
41. الوراكلي حسن، لسان الدين ابن الخطيب في أثار الدارسين دراسة بيلوجرافية، د ط منشورات عكاظ، د س.

ثانيا: الرسائل الجامعية

42. محمد الجبوري كمال شهاب، تجليات المضامين التراثية في شعر لسان الدين ابن الخطيب، أطروحة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، كلية الآداب 2015 /2016 .

ثالثا: المجلات

43. العبادي أحمد مختار، لسان الدين ابن الخطيب وكتابته التاريخة، مجلة عالم الفكر المجلد السادس عشر، العدد الثاني، د د، 1985م.
44. المغراوي رابح عبد الله، ابن الخطيب الأندلسي من الإنقلاب إلى الاغتيال (760هـ 776هـ / 1359م 1374م)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد الأول المملكة المغربية، الحولية السادسة والعشرين، 1427هـ 2002م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء.....

شكر وعرفان .....

قائمة المختصرات .....

مقدمة:.....أ

مدخل تمهيدي.....5

مدخل:.....6

الفصل الأول: حياة بن الخطيب

المبحث الأول: التعريف بشخصية بن الخطيب 11

المطلب الأول: نسبه ومولده..... 11

المطلب الثاني: ألقاب بن الخطيب 14

المبحث الثاني: البيئة الغرناطية وتأثيرها على بن الخطيب 15

المطلب الأول: تأثير وتأثر بن الخطيب ببيئته..... 15

المطلب الثاني: ما قيل في شخصية بن الخطيب..... 17

الفصل الثاني: ابن الخطيب العالم

المبحث الأول: شيوخه وتلاميذه..... 21

المطلب الأول: شيوخه..... 21

المطلب الثاني: تلاميذ ابن الخطيب..... 23

المبحث الثاني:إنجازات ابن الخطيب العلمية..... 25

المطلب الأول: مؤلفات ابن الخطيب 25

المطلب الثاني: أشعار ابن الخطيب ورسائله..... 30

الفصل الثالث: ابن الخطيب السياسي

المبحث الأول:اعتلاء ابن الخطيب السياسة..... 35

المطلب الأول: دخول ابن الخطيب معترك السياسة..... 35

المطلب الثاني: الانقلاب في عهد الغني بالله..... 38

المبحث الثاني: ابن الخطيب بين المغرب والأندلس أيام النكبة..... 41

المطلب الأول: ابن الخطيب في المغرب 41

المطلب الثاني: عودة ابن الخطيب..... 45

المطلب الثالث: علاقته بابن خلدون..... 46

الفصل الرابع: اغتيال ابن الخطيب

المبحث الأول: أعداء ابن الخطيب..... 52

المطلب الأول: أبي الحسن النباهي..... 52

المطلب الثاني: أعداء ابن الخطيب..... 54

المبحث الثاني: السعايات والمكائد..... 56

المطلب الأول: فراره إلى المغرب وأحواله بها..... 56

المطلب الثاني: محاكمة ابن الخطيب واغتياله..... 61

خاتمة:..... 66

الملاحق:..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

قائمة المصادر و المراجع:..... 68

فهرس المحتويات..... 73

تم بحمد الله